

ما وراء الخلود

الكونتيسة

فانتازيا نصف موسيقية

إنجي مطاوع

إهداء



إلى من جبراً أو تضحية..
فدى بروحه عُشَّاق السلطنة.

عاشق الليل

أتعلم قصة «عاشق الليل»!؟

فلتصغ إليَّ سيدي الفاضل..

كان ياما كان..

في سالف العصر والأوان، حيث يعيش
المدعو «عاشق الليل».. لُقِّب بين
الأصحاب بـ«شيطان حياة».. نبي خارج
النص، هو إنسان لكنه خليط ومزيج من
أساطير العرب وخرافات الرومان، يظهر
وقتما شاء ويختفي أغلب الأحيان، لكن لا..

انتظر..

لا يختفي؛



فهو يرسل طيفه ليشاكس حبيباته، هن فتيات أعماهن
بسحر هواه، ينتقل بينهن وكأنه وارد من نار، وهن، آه
منهن، أنهار عذبة من حليب مصفى وحرير لامع.

معه تعتقد كل فتاة أنه دنيا ودين، تسعى إلى أن تنال
رضا الله بإرضائه، تسعى إلى الخير ليعوضها معه الله.

هو حب وحياء.. تريد تحقيق أحلامها معه بهدوء،
العيش ونسيان العالم بأحضانها، هو لحن وغناء.. تسعى
إلى صفاء العالم بوجدانه، تسبح بأفكارها براحة بال بين
موجات أفكاره، هو الدنيا كلها.. تتمنى معه حياة صافية
ونقية.. هو آخرة.. تسعى إلى الوصول إليها.. لتنام قريرة
العين بأمان.. أحلام تغلفها بكل حنان.. هو نصف آخر..
هو كل.. وبعض منها، هو هي.. روح وحجر أساس..
لبنة بناء وأمان.. هو أمل في حياة وراحة بال.

هو من تُعني له الفتيات.. لأجلي.. علوت سلم الحياة
بالمناجاة، اعتبرت غيرتي وحي طيشاً.. يا ويلتاه، عشقتك
ورسم القدر على جبيني خطاه، حب وغرام يملؤنا كنهر

منهمر ، طفلة أنا تعلقت بستائك حتى السّحر ، وأنتَ طفل
يعبث بقلبي كموج البحر ، أنت الرفيق المقرب لسماي ..
أنت دربي وصوت غنائي ، أنت العشق وسبب فنائي .. أنت
الحبيب والطريق لماتي ، أنت بدايتي ونهايتي وحياتي ..
حبك قدري ومصيري الآتي .

حبيبي .. فيمَ خوفك؟ فقلبي مرهون لك .. عيناى
حزینتان للبعد - والله - عنك ، قدمت نذور عمري لك .. ألا
أفرح إلا بقدمك ولمس حنينك ، شوقي بحر يفيض ، مرسى
وسفينة صكها باسمك ..

مهما ارتحلت تجد قلبي بانتظارك .. يضمك .. قلوعي
فرش حرير يُغطّي واقع حياة صدمك .. هجرك مستحيل أن
يكون غاية .. فقربك وسيلة هنائي .. صوت أنينك يخنق
فرحتي فأنت مُناي ، حبك عقد ماس وذهب بريقه دوائي ..
أحبك قلباً ضم روحي مستوعباً لصمتي .. حبي شمس
عاشقة تلون ليلك الآتي .. قمر مضيء يدفئ قلبك ..
وروحك حياتي ..

أنت موجي العاتي وأنا رمالك الحبيبة، أنت سفينة
رحالة وأنا شواطئك الأمانة.. أنت من سكن خيالي وأنا
لعشقتك رهينة.

يومًا سأتي إليك هامةً: هيا يا حبيبي، انهض
واستيقظ، هيا بهدوء أفق؛ فالكل نيام، رقدوا في سبات، كما
لو كانوا يكنزون الماس في الأحلام، هيا لنهرب، ولنبحر
في العشق، ولننس أننا لهم مجرد هوام..

«شش شش».. لا تُصدر صوتًا، فنُمسك بالجرم
ونُفضح علنًا، سيقولون: صبيًا بالعبقة وهم من منعوا هوانًا؛
لأني بنت العوام.

دعوكم مني أنا «عاشق الليل» وقصصي سأكملها لكم
بعد أن أقص عليكم قصة الكونتيسة «رودينا» والكونت
«حيدر».

المسرحية

أمسكت «رودينا» برأسها بين كفيها في ضيق، أرهقت نفسها من كل ما تشاهده، المملكة تعاني كما تذيع أغلب القنوات، لكن القنوات المحلية تدعم وتساند الملك وتظهره كما بطل همام وشهم أنقذ المملكة من بين براثن الظلام، انتشلها من فك الوحش، أقام عودها بوقفته أمام من يتآمرون عليها، حاولت استيعاب هذه المتناقضات، هي تعيش حياة عالية المستوى، كل ما تشتيه تجده، لكنها تعلم أن هناك غيرها الآلاف بل الملايين ممن يأكلون التراب ليعيشوا، اعتدلت في جلستها على الكرسي أمام مكتبها وهي تحاول تحليل الموقف، عقدت ذراعيها أمام صدرها، ضيقت عينيها وهي تتمتم:

ثورة الجياع

مظاهرات الطبقة الدنيا في المجتمع ضد الملك

عنف، قتل، سحل، اختفاء لشباب وفتيات دون أثر

تأففت وهي تقف لتتهب حجرتها ذهابًا وإيابًا

أكملت مهمتها مع نفسها وهي تتساءل:

هل أنا من الفتيات الساكنات الهادئات الفاتتات
المثيرات؟ لا وألف لا؛ فأنا من الفتيات الشقيات المزعجات
المتسرعات القانتات، هل أنا من الفتيات العاقلات
الرزينات الجميلات؟ لا.. لا وألف لا؛ فأنا من الفتيات
المجنونات الطائرات الخفيفات، إذًا من أنا؟ كثيرًا ما أتبه
بين إجاباتي وأحтар في تناقضاتي، فأنا كل هؤلاء.

أنا متضادات كثيرة احترفن العزف رقصًا.. على أوتار
الوجع، لتشتعل حواس هائمة في ملكوت أنات الألم..
قالوا: شتان بينهن، متضادات وزاد التنافر حبهن، من
يشتهي الورد، بلا شبع، أشكلاً وألوانًا، ببستان قلوبهن
للعهد نال.. عشقهن الجن، من فرط حسنهن، سحرهن بلا
عنوان.. هذب أرواحهن، ليقترن في بوتقة الهيام، ضمنهن

العشق بالأحضان .. أجسادهن بالتعاكس تراصت، قُسمت
أنفاسهن كما موقف شطرنج قاتل.

يعذبهن أن خلف نهار عشق وانسجام ليل حياة بلا
أمل، طير شغفهن جناحاه وزع نبضهن ليغمرن وجدّ بلا
اقتران، سُلِب لبهن عشقاً فترنحن طرباً على أنغام أبخرة
عجوز سحر الغرام بلا ثمل.

همن حالمات، بوادي شغف مقدس بلا كلل، بدأ عزف
أوتار نرفهن، على أطراف أنامل الأحلام، فداء عاشقهن،
اخترن الفناء على مهل .. ذاك المُسيطر على قلوبهن،
أطلق تعاويذ غضب، جان وبشر يلومهن بلا ملل .. سويت
الأعاجيب: سحر وتأويلات شعوذة، غدر وتنبؤات منذرة،
صادحة بالألحان .. أنين حارق، نزفه مبتهل، تتادي في
فضاء الوجد: يا أنت .. أنا، روح وجسد، شياطين عاشقة،
تراقصنا الأحزان للأبد بلا منال .. نريد الفرحة عنواناً، لبي
نداء العشق فيض، بحر يحتوي كل صامت خجل .. فأقبل.

أخيراً وبعدما تعبت من أفكارها، قررت أن تخرج تلك
الضوضاء والفوضى من رأسها وتلقيها على كاهل أوراقها،
جلست على كرسيها، أمسكت القلم بعدما أخرجت بعض
الأوراق البيضاء ووضعتها أمامها، أغمضت عينيها تعيد
ترتيب الأحداث، ثم انكفأت تكتب ما تمليه عليها قريحتها
وخيالها..

* * *

الشخصيات:

الملك: (٦٠ سنة) متوسط الطول، سمين يرتدي أزياء مبهجة.

قائد الجيش: (٤٠ سنة) طويل، أسمر البشرة، تبدو عليه مظاهر القوة والوجاهة.

قائد الشرطة: (٥٠ سنة)، طويل، عريض، ممتلئ، تبدو على ملامحه الشراسة.

الثوار: (مجموعة مثقفين، شباب وشابات في سن صغيرة، نساء ورجال في أعمار مختلفة، وفلاحون وعمال).

حراس: (مجموعة).

مجموعه الأصدقاء: أربعة شباب جامعيين (٢٠ سنة).

حياة: الأم (٣٠ سنة) طويلة سمراء اللون بشعر أسود فاحم، تبدو عليها مظاهر العوز والحاجة، ترتدي السواد.

«أمان»: طفل قوي واثق من نفسه مشرد في ملابسه
(٢١ سنة).

«أمل»: طفلة قمحية اللون سوداء العينين فيها براءة
وجمال بريء رغم ملابسه الرثة (٧ سنوات).

«أمان»: شاب وسيم مفتول العضلات اسمر له هيبه وقوة
شخصية واضحة.

«أمل»: شاب جميل في العشرين جادة الملامح
والتصرفات.

المشهد الأول

يقف الملك في الاتجاه الأيسر ناحية باب الدخول إلى المسرح، وفي المنتصف قادة الجيش والشرطة، تُغطي حائط المسرح المقابل للجمهور والناحية اليمنى مناظرُ لأبنية وشوارع تخرقها، وخلف الملك تبدو بوابة قصره الشامخ وخلفه مجموعة من الحراس، ينظر الملك إلى قاداته موجهًا إليهم خطابه، متحمسًا لبثَّ الرغبة في البقاء معه بشتى الطرق..

الملك : (ملامح الصرامة تبدو على وجهه) اليوم
ذكرى جلوسي على عرشي لكن لماذا يا
قادة جيشي وحراسي، أرى ضحكات نفاق،
وبسمات خيانة، أحضانًا تلدغ، وقُبلات
ندامة، سلامًا حارًا، وعيونًا كاذبة، كلامًا
مرسلًا، ونظرات حقودًا؟! هيا تعال يا قائد
جيشي، اسمع مني نصيحة، عمّر جيبك،

فتَّحَ رأسك، اصرخ، هل لمن بيديه
مصالحك، ودع كل البشر، انس الأهل،
وخلانك، ابك على ما ضيَّعته بعيداً عني،
واللبن المسكوب، اضحك على من منك
أصبح مخدوعاً، مثل، اخدع، راوغ، شاغب،
نافق غيري لترضيّني، هيا ستنجح وتصير
بطل العصر، إنساناً مُقنَّعاً من دون خجل،
ستكون صديق الملك وخادمه.

قائد الجيش : (ينظر إلى الملك مندهشاً مضطرب
الوجه) لكن الشعب غاضب وجاء هنا كي
يثور علينا!

الملك : (يلتفت للجهة الأخرى غير مبالٍ ويشيح
بيده اليسرى خلف أذنه وهو يسير بتمهل
حول قائد الجيش) دعك منهم، بمجرد وعد
مكذوب سيعودون، سأجعلهم ثانية لكرسيّ

وعرشي يغنون، ولقديمي يقبلون بخضوع
طفل رضيع. سيقولون: كففنا عن الحب،
عن العيش، وحتى الحلم براحة الموت، ولو
كان الثمن جمودًا يصاحبه هسيس وأزيز
الخفوت، كففنا عن الثورة، عن الحلم،
وحتى الخوف بعلو الصوت، ولو كان الأمل
خارجًا من أحشاء الزمن، سندفنه بمائة
ألف سوط، كففنا عن العيش وعن الموت
وعن الحياة، وبانتظار، بعض من رغد
إنسانية تمنحنا إياها ملكنا، قررنا الاختفاء
من الوجود.

يقطع حديثهما صوت هادر من خارج المسرح، صوت قوي
كما بركان على وشك الثورة، يدخل مجموعة من الثوار من
عامة الشعب في خليط من كل فئات المجتمع يقفون في
الاتجاه المقابل للملك، متحدّين إياه.

(يتقدم قائد المجموعة مقترباً من الملك، يصرخ بقوة، وهو شخص يستند على دعم زملائه).

القائد : يا ملك، المفسدون، منذ الأزل يُجالسون

المجموعة هم وعبثهم، بين الفينة والأخرى تأتينا

أخبارهم، فعلوا وقالوا وبالذنيا هذي سيرهم،

رفعوا العمائر لعلها تخفي أسرارهم، لعبوا

لعبة الأقتعة وأجادوا أدوارهم، عاثوا وسط

الخلائق ينشرون غيهم، أعلنوا الخلود

كأنما يعلمون غيبهم، هددوا بالانتقام إحراقاً

بجمر سخطهم، مُدت لهم السنون فتناسوا

ربهم، عاشوا بانسجام مع غول أوهامهم،

ظنوا الله غافلاً عن كشف سترهم. لكن

لهوهم يوماً سيسلبهم أرواحهم، فينالون

عقاباً آتياً بمقدار عتوهم، وأنت في الأرض

عنت فساداً ومن خلفك هؤلاء (يشير بيده

إلى جمع الشرطة والحراس).

الملك : (مقاطعًا وغاضبًا) ماذا تريدون؟!

الجموع : (يهتفون بصوت قوي وبسرعة) جننا

نطالب بحقوقنا المنهوبة يا ملك، ما لك حق بأقواتنا، دع ما بخزائن دولتنا، وإياك ومس حريتنا، راعنا ولك الاحترام.

الملك : (ثائرًا مقاطعًا موزعًا نظرات الوعيد على

الجميع) اخرسوا، أنا الملك فامنعوا الكلام، اعلموا أن مال الدولة مالي، أنا راعي الدولة والنظام، من جرؤ ولشروطه يُملي؟ اخضعوا بلا تذر أو ملام، فالناس وعيالهم إرثي وعزالي.

الجموع : (في صوت واحد هادر) ثورة.. ثورة،

يسقط كل من بتجبر ملك ولرقاب البشر أخضع وذلًا، ولأقوات رعيته سرق وغلًا،

ولحرية ورثوها قَهَرَ لِيَتَدَلَّل.

الملك : (صارخًا فجأة) اخرسوا.

(يشير بإصبعه متوعدًا، يحاول إخفاء خوفه واضطرابه ويذهب كي يقف محتميًا بقيادة الجيش والشرطة).

الملك : أنا الملك، من عقرت النساء عن مثله أن

تلد، أقداركم، أقواتكم، حياتكم، وحتى
أنفاسكم، بيدي أنا؛ فأنا الملك.

الجموع : ثورة.. ثورة، يسقط.. يسقط، لا بقاء لمن

ظلم وباع، من رمى العرض، وتاجر
بالأرواح.

(يتحرك الملك بثقة طاووس ناحية الحراس).

الملك : (مناديًا) يا حراس، يا قادة الشرطة

والجيش، أبيدوهم من خلف الأسوار، ومن
عقر الدور خذوهم.

(يحدث اضطراب بين القادة ويصدرون بعض الوشوشة ثم

بتردد يجيبه قائد الجيش).

قائد الجيش : يا ملك.. هم إخواننا، أبناءنا، وأبناء
عمومتنا وذوونا.

الملك : (صارخًا فزعًا بتكبر) يا خونة، أنتم حفنة
من الخونة، عني تخليتم، وللرعاع حميتم،
للهافية سأرسلكم، وللعذاب سأذيقكم، يا لها
من خيانة عظمي!

(يحدث هرج ومرج ويختلط الثوار مع قادة الجيش

والشرطة صارخين في وجه الملك).

قادة الجيش : بل أنت الخائن، قوتنا توحدنا وعليك
والشرطة ستنصرنا، ومن لك نافع، ستعلو هامتنا
بإشراق حريتنا، وبالعامل سنرقى، كُنْتَ
عقابَ تغافلنا، لذا لله تذللنا، وعُدنا لنحمي
مصائرنا، بعيدًا عمَّن ظلم وتجبر، فلتعلم أن
الأيام دول.

(الملك يتوجه نحو باب القصر).

الملك : (بفرع وتجبر) يا حرااس، عليكم بهم.
(يقترّب من أحد حراسه، طويل ذي بنية قوية توحى
بالشراسة، ويجذبه خارج صف الحراس).

الملك : أنت تعالَ يا حارس، اليوم أثبت ولاءك
وحبك لملكك، أنت الآن القائم بأعمال قائد
الجيش وقائد الشرطة معًا، فأرني همتك.
(هرج ومرج والكل يَضرب أو يُضرب.. صراخ من الجميع
بعد أن اختلط الحراس مع الثوار).

(إظلام)

المشهد الثاني

(يدخل المسرح شاب يجري ليقابل أصحابه، ثلاثة شباب جامعيين، يجلسون في حديقة يقرؤون، يقترب في خفة ويجلس وسطهم).

شاب ١ : هل سمعتم ما حدث؟ لقد قامت ثورة على الملك.

(ينتبه له الجميع ثم يصيحون في صوت واحد).

الشباب الثلاثة : ماذا؟ كيف؟ من فيها؟ وكيف قامت؟

(يعلو صوت أنفاسه ليسمعه المحيطون، يتلفت كل لحظة وكأنما خلفه ملك الموت).

شاب ١ : ضرب رئيس حرس السوق أحد الأشخاص حتى كاد يموت، حاول أحد أصحابه مساعدته، جلدوه فمات، ثار التجار والعامّة؛ فالمقتول ابن شهبندر التجار، كلمة من هنا وكلمة من هناك

وفجأة وصل الجمع أمام القصر.

(تنبه الجميع أكثر وبدأ عليهم نفاذ الصبر، يقفون جميعاً ثم يلکزه شاب ٢).

شاب ٢ : هيا أكمل، لا تتوقف.

(يشير شاب ١ بيده بمعنى: صبراً).

شاب ١ : دعوني ألتقط أنفاسي وسأكمل.

(يقف منتصب الظهر كما بطل همام ثم بدأ يتحرك ويختال في مشيته مقلداً الملك، يتحرك داخل دائرة قريباً من أصحابه في أثناء إعادته خطاب الملك).

شاب ١ : هلّ المجنون كما قيصر روما، جاء يهلل

أنا يا رعاع، سأريكم!! كيف بسخف تعلو

هممكم؟! كيف بسخط تنطق أفواهكم؟! أنا

الملك الأعظم، أنسيتم مقامكم؟! أنا

الإمبراطور أيها العامة!! بيدي أمر فتعلق

رقابكم على باب زويلة، هيا بسموي

اعترفوا، وبندرة نوعي اقتنعوا، أنا سلطان
وكَّله إلهٌ من فوق سبع سماوات، مبعوث
لأعاقب مرده من شعب نسي جبروت
الحكام، هيا اقتربوا، بهيبةٍ قدرِي لوذوا
واحتموا، لا تثيروا بغاءٍ، حنقي وسخطي،
من فيكم تجرأ، وسب كياني؟!
من فيكم نسي سمو سلطاني؟!
يا أنتم، هيا أفيقوا!!

فبأصغر إصبع سأشنتكم وكل من صبحني،
بكلمات أثارَت غضبي، ويفحش القول،
أشعل نيرانِي، يا أنتم، أنا بالدنيا ملك
الأزمان، من يغضبني له مني ألف عقاب،
فاحذروا مني، فسينا لكم شر عظيم، وسوء
ختام.

(يصمت قليلاً ثم يتلفت يمينا ويسارا ليتأكد أن لا أحد يتابعه)

من بصاصي الملك، يقترب من أصدقائه وكأنما سيخبرهم
سرًا).

شاب ١ : لم يدرك مجنوننا أن في الحكايات كان
هناك، قيصر آخر ساء ختامه واغتيل وهو
يسير يختال، وسط حراسه، منتفخ الأوداج.
(يصرخ الفتية بصوت يظهر من الفرحة أكثر مما يظهر من
خوف).

الشباب الثلاثة : هل قتلوه؟

(يبتعد الشاب عن الجميع وينكس رأسه ليلمس صدره، يهدل
كتفيه وبصوت كسير).

شاب ١ : بل سُحبوا جميعًا للسجن الكبير، انتظارًا
لعقاب مُريع.

(يفتح الثلاثة أفواههم صدمة ثم يقعون على الأرض عندما
يفاجئون بالعسكر حولهم).

(إظلام)

المشهد الثالث

(مسرح مُظلم/ الخلفية أضرحة متراسة يمينًا ويسارًا،
وفي المنتصف بينهما طريق، شموع موزعة على جانبي
المسرح، وترانيم جنازية تصدح في الأجواء، مشهد
ثابت لدقائق ثم يخرجنا من هذا السكون صوت «حياة»،
وهي امرأة ثلاثينية تلتحف السواد، تنادي وهي واقفة
بثباتٍ، يمين المسرح، على عيون لامعة بدهشة في
زاوية المسرح الشمالية، فرحة بهدية منذ زمن الفتنة
اختفت).

حياة : «أمل»، هلُمِّي ومعكِ «أمان»، أحضرت
لكما الحلوى.

(يقترِب «أمان» و«أمل» وهما يبتسمان).

«أمان» : أمي.. ما هذا؟ سكر نبات أحمر! أخبرتنا

الجدة يومًا أنه أبيض!

(تجلس على شاهد أحد القبور).

«حياة» : «أمان» حبيبي، وهل هناك شيء ما زال
على حاله أبيضَ ليظل هو أبيض؟! هيا
خذاه وتعاليا لنونس وحدثنا في ظل قبر
أبيكما، سأحكي لكما كيف قام مع زملائه
بثورة.

(يصرخ «أمان» مبتعدًا).

«أمان» : لا، قصتك نهايتها كئيبة؛ فلقد مات الكل
وبقينا نحن نختبئ من ذئاب الغدر، يلاعنا
الموت ونلاعه.

(تبتسم الأم وتجذب إليها «أمل» تمسّط لها شعرها
بيدها).

«حياة» : هل سمعنا يوماً أن حياة بأكملها قد فنيت
أو ضاع أمل وأمان للأبد؟!!

(يقترّب «أمان» ويمسك يد أخته «أمل» ويضحك).

«أمان» : ما أعلمه أننا معك هنا يا أمي في سلام

وهدوء.

(يقترّب الطفلان ليقبّلا أمهما، كلٌّ على خد في سعادة
وهي تحتضنهما معًا).

(خفوت تدريجي)

المشهد الرابع

مشهد صامت، خلفية المسرح لا تتغير مثل المشهد الثالث، يُضاف ضريحان يمين المسرح وآخران على اليسار، لتبدو الصورة وكأنها في عمق المقابر، فنرى أنه على الجانب الأيمن يتصل الضريحان بباقي ما رُسم على الخلفية في الاتجاه الأيمن ليكون صفًا طويلاً، أعلى كل قبر رخامة كبيرة تحتوي على آيات من الذُّكر الحكيم.

والجانب الأيسر، بالمثل، يتصل بباقي ما رُسم على الخلفية في الاتجاه الأيسر ليكون صفًا طويلاً أعلى كل قبر رخامة فخمة بالاسم وورود متنوعة ما بين الأبيض والأحمر أو باقة تيوليب.

الأيمن فيه مقابر من تم تنصيبهم أولياء الله الصالحين من مواليتهم وتابعيهم، هم شهداء أُعدموا بأمر من ملك السلطة، والأيسر فيه مقابر من رُسموا شهداء الواجب

والدفاع عن الوطن من مؤيديهم ومناصريهم، هم شهداء قُتلوا بأمر من يريد السلطة. أما الطريق الواصل بينهما، فمرسومٌ عليه أجساد ممددة ومتراصة بشكل سريلي، ليكون تعبيراً عن أنهم كانوا مجرد وسيلة يصعد عليها المنتصر ويحقق أهدافه.

عُلقت لوحة إرشادية كبيرة جداً مكتوب عليها بخط رديء «مقابر من استضعفوا ودفعوا ثمن صراع الغير على السلطة»، ومكتوب أسفل عنوان اللوحة: هذه المقابر تضم أجساد «شيوخ بعمائم، رجال متأنقين، شباب دماؤهم نبعها الثورة، أطفال نضجت وجوههم قبل الأوان ليحصدهم جهل وتخلف زُرعا منذ عصور ولَّت لكن يدها ما زالت تحكم، نساء وفتيات كُنَّ حطب غضب أعمى، مثقفين، متعلمين، رهبان... إلخ، لا فرق؛ فالكل يموت فداءً لمصلحة الباب العالي، أأ.. أقصد من ملك زمام السلطة والمال».

وفي نهاية منتصف الطريق، يجلس شاب وفتاة
تتوسطهما عجوز تضعض وجهها؛ لكن العينين ما زالتا
تلمعان في انتظار نبوءة ميلاد جديد يطرح نبتته في
قلوب المساكين زهر «الحياة»، ويؤجج فيهم الـ«أمل»
والـ«أمان» المفقودين. تنظر «حياة» حاملة أسمال
طفليها البالية بين يديها، في سعادة وهما يتأكدان من
هندامهما الجديد.

تسلط إضاءة حمراء على الثلاثة، يقبل الشابان أمهما
على خديها، ثم يمسك «أمان» يد «أمل» ويتحرك إلى
منتصف المسرح.

«أمان» : هيا معي «أمل»، حان أوان زرع
الـ«أمان» في قلب «الحياة».

(إعتام مع صوت دق طبول يرتفع معلناً الحرب).

(ستار)

* * *

وضعت «رودينا» القلم جوار الورق المزين بكلماتها،
أغمضت عينيها بعدما فركتها بأناملها ثم فردت ظهرها
لتسمع صوت طقطقت عمودها الفقري، حركت رأسها
لليمين واليسار وهي تبتسم، نظرة إلى ما في الورق بين
يديها مرة ثانية برضا، وضعت داخل ملف بلاستيكي
ونحته جانباً، ثم ذهبت لتنام.

خوف

داخل حجرة مظلمة إلا من إضاءة خفيفة على الكمود المجاور للسرير، جزآن من غرفة نوم فرنسية التصميم اختارتها «رودينا»، الجالسة وسط سريرها مع صديقتها «ميليسا» تتباحثان في مشكلة كونية رهيبية، هي حالة الاكتئاب المصاحبة لـ«رونا» منذ شهور كثيرة، من دون وجود سبب مُعلن.. مجرد ملل.

هي و«ميلي» - كما يناديها أصدقائها - صديقتان منذ الطفولة؛ نظرًا لجيرتهما وتشاركهما الاهتمامات، خاصة مع صداقة الأهل، حاصلتان على بكالوريوس من كلية العلوم قسم حيوان (لا داعي للاستغراب، مجرد قسم أعجبهما، وبالدروس الخاصة بالكاد كانتا تتجان)، عائلتهما من علية القوم، تذهبان صيفاً إلى باريس للتبضع، وشتاءً إلى إيطاليا وروما، لا شيء ممنوع..

كل شيء وأي شيء متاح، تُفتح لهما كل أبواب جنتهما المزعومة، لديهما أصدقاء من الجنسين، ومن جميع البلاد، ولم لا وقد كانتا في الجامعة الأمريكية (AUC)؟ تلك التي لا ينضم إليها إلا كل من ملك تذكرة الدخول الباهظة بأمواله والواسطة المتمكنة، وهما السمتان المميزتان لعالم الأثرياء.. كما كانتا في إحدى المدارس الألمانية سابقًا، تلك التي تجد بها طلابًا من جميع الجنسيات والأعمار أيضًا ممن فشلوا ولديهم آباء يملكون من النفوذ داخل المملكة ما لا يُسمح معه بفشل الأبناء، وإلا ضاعت إمبراطورياتهم مستقبلًا، فتتسلمهم تلك المدرسة لتُخرج جيلًا قادرًا على الصمود وسط عالم النفوذ والسلطة، بل والتفوق.

تعشق الصمت والكتابة، أما صديقتها الصدوق «ميلييسا» فتعشق السرد والثرثرة؛ لذا فهما تُكلمان بعضهما جيدًا، تعرّض والد «رودينا» لأزمة مالية طاحنة جعلته يُعلن إفلاسه، ما لم يتحمّل وقَعه، فأصيب بأزمة قلبية وتوفي منذ ثلاثة أعوام، خلفت والدتها «حليمة» ذات

الشخصية المتسمة بالعناد والإرادة القوية، قاومت حتى استطاعت تجاوز الأزمة خلال مدة تعتبر وجيزة.

في عامين، عاودت الصعود للقمة، عوّضت ما خسر زوجها، انتشلت نفسها وولديها (رودينا ولؤي) من المستقع الذي أسقطهم فيه زوجها، بفشله في إدارة مؤسسته وسقوطه ببشاعة ليخسروا كل شيء في ثوانٍ كما تحكي عنه.

عاطفياً قطعت علاقتها مع صديقها «شيكو» منذ ثلاثة أشهر؛ فهو لم يحقق لها الإشباع الكافي نفسياً كما تتهمه، كما أنه يستمتع بمشاكسة أبة فتاة تمر من أمامه ولا يكتفي بحبها.

في المجمل، هما والرفاهية على وفاق تام، لا ينغص عليهما إلا حزنهما المستمر وافتقادها بهجة الحياة وملذاتها من دون سبب واضح.. افتقادها الدائم لشيء مجهول لا تدري كنهه.

فتحت دفتر كتاباتها تقرأ لـ«ميلي» ما كتبت عن
«شيكو»:

ناديت عليه: حبيبي.. متمكن أنت من الروح، حبك
عشق يغلفني، وردة زاهية بحمرة الشمس الحارقة في ظهر
أيام أغسطس، مُبَعِد بِحُرْقَةِ الموت لكل من يفكر في
الاقتراب سواك.

بهدهوء وثقة أجاب: وكيف يكون عشق الروح يا أنتِ؟
أتلهينني بكلماتك الكبيرة؟ أنتِ.. السهر والدلال.. العشق
والهيام.. الوجد والغرام.

ثم أضاف أني جمال وضياء شبابه.. ريحان وندرجس
أيامه.. زهرة وقرنفلة عمره.. وزاد أنه الحياة وأني ماؤها،
فأنا عشق وشغف لياليه، فجر ضحكته وبسمة نهاره،
حبي.. أنتِ بعضي وكلي.. مني كل التمني.. في لحن
الأغاني.. حبي منك وإليك.. دنيا فرح خطفتني.. من كل
الأماني، أنتِ مصير مكتوب أتمناه، أنتِ.. أنا.. يا نبض
قلبي، أقولها.. حبيبتي أنتِ.. سكر حياتي، شهد أحلامي،

عسل ذكرياتي، خيالي الجميل، ملاك أنا شيطانه، لكِ دون
سواكِ أنا.

أظهرت الثقة وأنا أجيبه: حبيبي.. أنا طاووس مغرور
بزهو، بفضل حبك وهواك، فاحتو قلبي واحنْ عليّ، يا من
تعشق كل ما هو قاسٍ جافٍ معي، أشعرنى بوجودك
كرجل شرقي في حياتي، فأنا لا أهوى الغرباء.

سخر مني ولكنه شجّعني بعدها بكلمات من نور؛
طمأنني بقوله: أتهذين؟ أثق بك، فاذهبي تعرفي، اقتربي،
انطلقى في الدنيا لتصيري كاتبة شهيرة...

قاطعته: حبيبي.. سأتنازل عن مغريات الحياة وأعيش
بحبك أنت، بقربك وبأحضانك، لا أريد غيرك، فضم قلبي
بهواك، لم تأتي أوقات فراغك كأني آخر اهتماماتك؟ ألسْتُ
شريك هواك؟

قاطعتها صديقتها بحماسة زائدة: وماذا قال «رونا»؟

زفرتُ بضيقٍ قبل أن تكمل بثقة: قال: أعلم أنني كثيرًا
ما أفسو على عاشقتي الأثيرة، لكن أنتِ الغالية فاعذريني،
حياتي ترهقني، قاطعته ثانية بعد أن أغاظني؛ حبيبي..
تعب قلبي من كثرة نكتك لما وعدت وتعد به، أحبيبتك أنا
أم فتاة تلعب وتلهو معها؟ أشعربي بوجودي بحياتك، ولا
تعاملني بذنب من سبقوني ممن جرحوا قلبك الصافي.

زفر بغضب، وهو ممتعض يُخرج كلماته بنفاد صبر:
يسوؤني سوء ظنك وعدم ثقتك، لم توقعُ السوء؟ أتعقدين
أنني أوهمك بالحب لأؤذيك؟

كان عليّ التصرف سريعًا ومحاولة ترضيته فتبسمت
وقلت له: أغار وأجن من تصرفاتك مع الأخريات، فلم لا
تراعي قلبًا يعشقك؟! لم تحن لحب سابق خذلك وتصر
على متابعة أخباره حتى مني أنا؟! حبيبي.. أنت لا تهواني
ولا تعشقني.

قاطعتها ثانية: «يا للواقحة! بالتأكيد ظنك مجنونة».

- نعم قاطعني: مجنونة أنتِ كعادتك.. ولن أجيئك..
كم أتمنى لو تتوقفين عن التفكير بتفاصيل غريبة!

أشرت بأصابعي لأسكته: حبيبي.. تظلمني وتهينني
بالبقاء بحياتي حباً مخفياً بأستار ظلام الليل، وقلبي
المسكين يهواك رغم نكرانك لحبي أمام الجميع، كم يرهقني
خذلانك وأتمنى لو أكرهك قليلاً! لكنه أثار حنقي وهو يبرر
أفعاله بسماجة، متفاخراً وهو يجيب: أنتِ حبيبتني، فأنتِ
من تثيرين خيالي وإلهامي، فاعذري غدري، أحبك وأحب
غيرك.

أوقفته ليفكر فيما يخبرني: حبيبي.. لم أحب شخصاً لا
يملك أي صفة لتحب وأثبت أنه نقطة ضعف بحياتي
ويهوى تعذيبي؟! ابتعد لأفريق من هوى خداع وكاذب
القسمات والتكوين منذ بدء مولده.

أصر على ما يهرطق به مكملاً: استوعبي موقفي،
أنتِ حبيبتني رغم قسوة كلماتك، عندما قلت له إنه هكذا

قتلني أجاب: تتوهمين، أخبريني كيف تريدين حبي إذا؟!
حاولت جعله يستوعب أنني أريد أشياء بسيطة..

أخبرته: يا حبيبي.. مطلوب الآتي يا سر حناني: قرب
وهدوء يلامسان كياني.. تودع وتهجر معي كل أحزاني..
يكون حبك متدفقاً وعشقك مُغرَقاً، عاشق بخيال الفرسان،
بالبراءة تملؤني.. شقاوتك تغمرني وتكون مرسة لأماني..

حبك جارف يُغرق حيائي وسكوني، موت وغرام
يستعمران حياتي وجمالي.. تصرفات حمقاء لعاشق بالدنيا
لا يبالي، من أجلي.. تحيا أسيراً أياماً وليالي، قائداً
لجيوشي وفارس أحلامي، بحاراً تبحث عن كنوز عشقي،
مزارعاً تسقي زهور هيامي، أشرعتك حريرية تستوطن جزر
غرامي، سجل هذا.. ووافني بحالك بجواري.

انطلقت «ميلي» صارخة فجأة: آه «روني»..
«رون».. حبيبتي «رونا».. لقد فهمت الآن، أنتِ تفتقدين
الحب في حياتك؛ لذا تتصرفين بهذه الغرابة والقنامة..
راجعني ما نسجته من كلمات لتفهمي مثلي، أفسحي لقلبك

المجال، يمكنني أن أعرفك على صديق جديد.. «جو»،
صديق أخي «ميرو»، أنهى دراسة علوم تجارية معنا
بالجامعة، وحاليًا يكمل دراساته العليا مثلنا.. هاه، ما
رأيك؟!

- يوووه «ميلي».. ابتعدي عني، مللت من تنقلنا بين
الأصدقاء هكذا، لا أعلم لِمَ أنا بالذات تفشل جميع
علاقاتي.. لم أعد أملك في حياتي شيئًا مثيرًا غيرك أنتِ
وقلمي. صديقتي.. أتمنى مقابلة شخصية مثيرة تُنعش
حياتي.

- أأتمنين لقاء «أوباما» أم «فرانك سيناترا»؟ لا
تضربيني هكذا.. تؤلمني مخدتك تلك..

لتصدح الحجرة بصوت ضحكاتهما الصافية؛ حيث
تضاربتا مزحًا، توقفت «رونا» فجأة لتقول: أريد مقابلة
«دراكولا» أو «بات مان» أو «سوبر مان»، أي شخصية
خارقة أحقق معها طموحاتي.

لا.. «دراكو» هو الوحيد القادر على منحى كل ما
أريد، هو ذلك الشخص هاوي الحساوات، يمنهن السلطة
والقوة والمستحيل.. يغني لكل جميلة أغنية تناسبها..

يا غيداء القد، أنا رجل هاوٍ للحساوات، أعشق مغازلة
الصبايا الجميلات، فاحترسي.. يا مالكة أشهى وأنقى
الوجبات، اقتربي لأختصر معك الغزوات، يا شهية هلمّي..

فالسوداوان عيناك مغريتان، قسمااتك تعلنك عربية،
أسررتي لهجتك الشرقية، ففيك تلك الأنفة البهية، وتأثيرك
أقوى يا عالية، فطباعك بريئة حانية، يا صبوحة الوجه،
عن غيرك عيناى مغمضتان فلمَ دوماً عني مخفية؟

لتصرخ «ميلي»: ماذا؟! هل جُننتِ «رودينا»؟!
بالتأكيد أنتِ جُننتِ!! آه يا ربي..

«رونا»: أبداً لم يحدث.

وانتفضت واقفةً تُكمل تخيل ما يمكنه منحي: الخلود،
التنقل بخفاء، العشق الناري، التحكم والسيطرة، القوة
المطلقة، بالإضافة إلى خبرة قرون بمجرد عضة رقبتني.

وأشارت إلى المكان بأصابعها الرقيقة: تنتقل إليّ كل
خبراته وأحاسيسه؛ صحيح أرتعب لمجرد فكرة رؤيته، ولكن
لمَ لا؟!!

قد كنت أخاف أشياء كثيرة حدثت في حياتي، فتغيرت
شخصيتي للأفضل..

تخيلي معي «ميلي»..

آه «ميلي».. أتدرين؟!!

ما خِفْتُ شيئاً إلا وتعثرت به، خِفْتُ ذُلَّ الأيام،
فأشقتني مراراً بكأس تجرعتها.. خِفْتُ الخيانة والخداع،
فرزقت بهما فيمن أأتمنه، خِفْتُ ضياع الأهل، فمر شريط
ذكريات كُنْتُ قد نسيته، خِفْتُ وداع الخلان، فهجرت أغلب
من أحببته، خِفْتُ الفراق، فكفنت واحداً تلو الآخر ودفنته..

حتى في عالم الخيال.. خِفْتُ الحُب وتجنبت طَريقه،
لكن التقية، خِفْتُ العشق وآلامه، فاستيقظت مرتمية
بأحضانها، خِفْتُ الانفصال عن قلبي، لكن أهملته
فأضعته، خِفْتُ مُفارقة مُلهمي، فتركته أهذي مخبولة
وحيدة..

خِفْتُ الوحدة والجفاء، فوجدتني بصحرائي شريدة..
خِفْتُ الهواجس، والساحرات، خِفْتُ الخوارق، والبراكين،
خِفْتُ الأشباح، والطواغيت، خِفْتُ الجحيم، والسنين، خِفْتُ
البشر الملاعين، خِفْتُ الجميع، الحيوانات والطيور وكل ما
يسير على أربع أو حتى يزحف، عشت وحيدة، لكنني..
التقيت الجميع.

امتعضت أسارير صديقتها قبل أن تخرج ما في جعبة
كلماتها:

- حبيبتني.. «دراكولا» خاصتك ينطبق عليه قول
الشاعر:

يا شاعر الحب يا جوالاً بالطرقات، يا راقصاً على
أوتار كلمات الأحياء، منك ستضيع الأيام كما تترك
الأهواء، ستظل تبحث عن حب تتنفسه هواءً، ستبعد عنك
شمس الحب دون عناء، يا من يعيش مزهواً بحب أبيات
وكتابات، وأنت مجرد شرفة تطل منها الحلوات والفاتنات،
تزخر فهن بعالم ساحر زاهٍ له منجذبات، بحارك نقش أظافر
بمعزوفة الجميلات، يا شاعرًا متفوقاً بالأصداف
واللؤلؤات، أمواجك عاتية وجوفك صارخ بالنبوءات، حبك
جارف ساحق لكنك تبقى مجرد كلمات جوفاء، فابتعد
قليلاً، ما لك أنت وعالم الملكات؟!

- لا تقولي على حبيبي هكذا من فضلك «ميلي»
(متصنعة الحزن، راسمة تكشيرة كبيرة على وجهها).

- حسناً.. حسناً.. سأترك الآن، فقد يأتي حبيبيك هذا
ويلتهمك الآن.. قد ننتهي وقتها منك ومن هذا الأمر..

- حسناً.. اذهبي وتعال أنت حبيبي، أريدك..

أريد أن أذوب فيك، أنصهر بك، أتعشق معك، أتوحد
بشغفك، أتفتت منك، أريد أن أصير وجعك؛ جوعك
وعطشك، فامنحني عشقك. تعال؛ أريد التبخر بين أنفاسك،
التعمق داخل شرايينك، الاشتعال بردًا بحرارتك، الانسجام
مع ذراتك، التنفس من خلالك، الابتسام عبر ثغرك، الهيام
في دنيا عشقك.

أشتهي الخلود بصدرك، حرقك بنيران اشتياقي،
استباحة قوتك، عجنك بخبز حبي، السباحة في أنهار
حنانك، أريد التهام أنات همساتك، اعتناق مذهب هواك،
أسيرة أنا لترويضك.. فأسكرني بقسوتك، يا عشقي تلهث
همساتي صرعى قبلاتك، فليغنّ كل ما فيك لتبعثني
ضمانك، وتحتويني همساتك حياة، أحبك، أهواك، أعشقك،
شغفي بك عنوان لعمرى وعمرى، كلماتي كلها عنك واليك،
أنت تشكّني أنثى؛ عاشقة لضيائك، ليفنى عالمي بعالمك؛
فاقتلني عشقًا وغرامًا.

سألتها «ميلي» بفضول يشويه الخبث:

- ماذا لو خانك بتعدد عشيقاته «رونا»؟ ماذا ستقولين له؟!

فزعت «رونا» رافضةً الفكرة بتحريك رأسها لليمين واليسار، ويحده أجابتها: الكونت لا يخون.. وفرضاً إن حدث، سأصرخ فيه: همست صارخة في شرايينك، ما أشهاك وأنت مستعمر كل تكويني حتى في أحلام يقظتي، يسلبني لبي عطرك السفاح، تغتال أنفاسك هدوئي وسكناتي، تطوي كل مسامي بهمس بحار يجوب بحار العالم بتأني مركب غرق مجدافه، طار شراعه لينضم لعشيقته، نجمة تتوسط السماء، أعلم أنك تراني الفضلى لكني أخبرك أنه أنت؛ يا سر قوتي وضعفي، دوماً تعلم ما أعاني ولم، تتقرب لعلك تُتسني واقعنا الحالي حتى مللت الواقع وحالي، والآن معي تُعاني فلا داعي، لا داعي ليُعاني كلانا، يكفي أنا، لأجلي وأجل أحبابك كُن بخير، حبيبي الساهر لا تبتئس، لیت الواقع كما الخيال باليد يُنسج، بمعسول الحديث وحرارة الكلمات يُرسم كما نراه؛ لا سراب كلما اقتربنا؛ فر بعيداً مقهقهاً، صارخ فينا وداعاً أيها العشاق الساهون عن الحياة وواقعها.

بالتأكيد سيفعل كما فعل «شيكو»..

بشّئت «ميلي» واعتدلت في جلستها قبل أن تكمل:
أخبريني باقي حكايتك معه.

أغمضت عينيها وظهر الامتعاض على ملامحها قبل
أن تترجم ما بداخلها إلى كلمات:

أرسل نظرات باردة بلا ملامح، أتذكر وقتها شاخت
الكلمات قبل أن ينطقها فكُفّنت داخله، ذابت موسيقى
لمساته بين أوتاره المتصلبة فاستبيحت أوصالها بفتور،
ضاعت لغة حوارنا المشتركة، حتى الصمت بات باردًا بلا
ملاح، غير موصل لحرارة النبضات، ولا قرع طبول القلب
ودقاته، بتُّ أحتاج لمن يفهمني لا من يصرعني زجرًا؛ ولا
من ينتهز الفرص لينقض ما بُني بقلبي، ذات حزن ودمعة
طلبت منه ألا يُفجعني فيه كرهًا أو احتقارًا فمضى هازئًا،
وها نحن الآن على أعتاب الاثنين نترنج.

ما بين همسة وبسمة كان الوداع، أهملني لتسرقني منه
الشكوك، تحتضنني سوء الظنون، تضمّني بقوة أقبح
الأفكار، تخذلني قُبلة عشق موعودة، تحرق قلبي همسة
شغف مسلوبة، تسحلني على رصيف ذكريات غير مُعبّد
لمسات مفقودة، أهملني فأهملتني ذاتي وبتُّ مقهورة، لأهيم
في شوارع الغدر مكشوفة الروح، عارية الحب، مكسورة
الفؤاد، ذليلة الجسد، مسجّاة بين الرمال، تُغطيني أمواج
البحر، مستباحة الدماء في نظر النجوم.

انطلقت «ميلي» تصرخ فيها: يا لسخافته..! فأوقفتها
«رونا» قائلة: دعيني أكمل. قلت: حبيبي.. ملّ الضجر
منا ومن شبّاك جراحنا المتلاحمة، وأوشك أن ينتحر على
سراب الفرح، فتترك الجسد المنهك ليغتسل بماء منحدر من
العين في ليالي الوجع، ثم يتسرّل بحشايا الهجر وأثوابٍ
بالآهات نسجتها يد الوضاعة، في غفلة من عشق كان
منهمراً فصار جرحاً لا يندمل.

نحن ضحايا أنفسنا حبيبي، فلا تلمّ أحدنا، عشقت كل
ما فيك يوم كنت المُضحّي، المُقاتل كي يعيش، يوم كنت

العاشق للبراءة، البسمة الحانية تغطي كل مأسيك، تُخان
فتعالج الخائن بنظرة، تُقهر فتجتاز المستحيل بصبر.

تراني الملكة والملیكة، الأم والابنة، النفس والروح،
الأولى والأخيرة، يوم كُنت تعيش الحياة لا الحياة ما
تعيشك، والآن قد اختفى هذا وبقي المجاهد في سبيل
الهائمات؛ الثيبات، الخاضعات بعذرية العشق، خلف ستار
الكلمات المنعمات المُتبادلة بينكم، يا وجعي.. بل يا
وجعك؛ عصفوراتك كلهن احترفن فن البوح بالكلمات؛ يا
لوجعهن! أسمعني العشق في رَحْمِهِ الكُره مُستكينًا بانتظار
لمحة اشتعاله، والعند يولد الكُفر؛ فاحذرنی.

بُهِتت «ميلي» وحاولت الاستفسار: ماذا؟ هل ستتمنين
له السعادة وتودعينه فقط؟!

- الآن نعم، لكنني لا أعلم غدًا ماذا سيكون رأيي
وقراري فيما سألت عنه؛ فأنا كاتبة مُتقلبة الأحوال.

- الكتابة وجع، وأنتِ عاشقة للكتابة والوجع.

- بل أنا عاشقة لأي شيء وكل شيء، وللوجع عنوان يسكنه العشق، يجمع الكاتبُ أجزاءهما بتقرب القط ودهائه؛ فالكاتب خليط من روح يحفها الجنون ومس خفيف، وقلب يلهب مجونه الخيال، بغلاف حماية عين العقل، الكاتب متورط جداً في كل شيء، هارب بجد من أي شيء، على حافة الأشياء يعيش، مختنق بالأشياء، لاه عن الأشياء، غائص حتى أذنيه بين الكلمات، عازف بالكلمات لا عليها.

قاطعتها صديقتها للمرة المائة قائلة: مقتتعة ألا أحد يستحق الكره ولا الحب، وعلى الجميع الحياة على حافتيهما ليموتوا بسلام، وإلا فليعشقوا الحياة ويختاروا أحدهما، لا داعي لأن يحيا العقل والقلب الخيال، لأنه مطلب يضاوي طلب إبليس للجنة، عليهم تصنع السعادة، فقد يسعدون بل سوف يسعدون.

ابتسمت «رونا» في شقاوة بعدما أعجبها رأي صديقتها، وأضافت: نعم، عليهم البحث عن عشق بلا

منتهى يحتويهم، على كل إنسان البحث عمّن يُغني له
مثلي:

حبك وردة نبتت بجوهرة قلبي ذات بسمه، زاد ضياءه
شمعةً ودك، نقته دموع السماء، عفريتتك الرعاء أنا، بل
ربما طفانتك البكر، فهل مني تغضب؟! تعالَ ففي شعاب
قلبي وزعت صك أمانك، هيا اقترب، فأنا أغلب نفسي كي
لا أكون نرجس حياتك، وأقتل كل من يقترب، ضمني يا
من همستك بوصلتي الصباحية، بسمتك وردة صباحي،
لمستك ميفات إشراق فجر صباح جديد في عمري.

من تمدحه بجزيل الكلم، تصدح مُغنية، قبل اشتهاه
الكلام، وقبل الأغاني ودق المعازف، قبل صدح ملكات
مستعبدة للجواري لإغراء الملوك، قبل الصمت بين أمواج
الكلام بمد من غير احتباس، قبل جذر أخلاق وخلق
وانفجار آبار الخجل، قبل الحياة وضحكة الأمل في عيني
شاب قُتل بلا ثمن، قبل صرخة الميلاد لطفل شارع
وصراخ نعش ضم قاتلاً سابقه القتل، قبل الحروب ودمار
النفوس خلخال طمع العشائر، قبل السيوف ودموع دماء

البنادق واحترق الخدود، قبل ندم أشعل نيران الفراق أعمدة
بحيطان الجسد، عشقتك ودمع قلبي ودّعك بروح سكنها
الخفوت.

وقفت «ميلي» لثوانٍ ثم عادت لتجلس بجوار «رونا»
قائلة: علينا تحذيره من اللعب معنا نحن الفتيات والإ
ضاع.

ضمت «رونا» شفيتها كما البطة، وعقدت ساعديها
على صدرها، حركت رأسها علامة الموافقة وأكملت:

- لديكِ حق لنزيد، يا هذا حاذر من الاقتراب ممن
يتوجعن؛ فهن فراشات تتلظى على نيران بريق أمان خداع،
أنهى عذابهن سكين برودة الأفعال، أفاقهن من السراب
مطر خيانة يدندن بلا انتباه، ففروا ملحدات بقوانين الشعر
والألحان؛ فالأشعار كلمات تبتز البراءة والخيال لتسجل
هدفاً في مرمى غاويات لاهيات اشترين بالسمين الغث،
آملاتٍ في المصالحة مع الحياة، مظنة أن العشق يرجح
كفة الميزان، صارخات: أيا أوجاعاً للقلب صائدة، رفقا

فالنفس منك أوشكت على القتل، والروح تنوح لتصعد إلى
بارئها ربما ترتاح، توبي يا عاشقة عن أُناتك، فلا رفيق أو
حبيب يلزمه النصح المبين.

هن ثيات وأبكار، يُحَنَّ فاردات الشعور تطوِّحها رياح
الحقد، من قال إن القاتل متجهم كالبوم، أسود كالغراب،
قادم متستر بليل بهيم والقمر محاق في كبد السماء
غريق؟! القاتل نسمة عابرة فحيحها الياسمين، طلقته سكين
من رياحين، بسمته السحر المبين، وبنياته يهز عرش
السلطين، لمساته من تراتيل شعوذة المنجمين، بنظرة
تشفي القلب العليل لتسلمه لمنكر ونكير في غمضة بلا
زفير، لا تكن ذئبًا خسيًا.

همَّتْ تتحدث بلهفة صديقتها مقاطعة: لا «رونا»، لم
يأكل الذئبُ يوسفَ، بل كان إخوته من نهبوا أمانه، الذئب
بشر لا إنسان أعجم؛ ضحكت الفتاة حتى دمعت عيناها،
قبل أن تهدأ وتكمل:

- أوه صحيح، أسوأ ما يمكنه إيلاكم صديقتي أن يوقظك أحدهم بحدة عن طريق ضربة موجعة، هامساً بعتب المضطر لنصحك قائلاً؛ كف عن الأوهام، فما أنا لك إلا سراب، وها هي قد لملت الشمس أشرعتها ورحلت حاملة معها سرايك الحبيب، ليطل عليك الكاتب ناصحاً في النهاية:

افرح وابتسم، حاول أن تحيا بثبات، العمر يمضي، وفي لحظة تجد الكفن عليك مفروداً، ستغطيك الصحراء لتلتهم قلبك في صمت، لن تشفع دقات القلب ولا نبضاته ثانية لتفك أسر الروح لتتهل من براح الغد، فقد فات الأوان.

أتعلمين «ميلي»؟ أعتقد أن على كل كاتب الاعتراف بأنه إنسان مجنون مثلي، عليه أن يصرح للجميع بحقيقته:

أنا الساكن في الاتجاه الآخر للحياة، النابض بالموت، دمائي سم زعاف، روعي غراب نقار، عيناى بومة خائنة، جسدي أرض تسكنها الحيات، أنفاسى لهيب من جوف

السعير، فأنا الحي الملعون، الميت المأهول بالنبضات،
العاقل المجنون، الحي المدفون، الميت الطليق، كما أنني
غضب شيطان مارق، وربما شيطان طيب، أنا ملاك في
زي إنسان.. بالاختصار: قد أكون ملاكًا شريرًا يُدعى
«إنجيل»، أي: الملاك الشيطان.

- وهل تدركين أنك هذا الإنسان البائس الذي تحكين
عنه؟! -

- لئيمة.

سخريه

جاءت «ميلي» مسرعةً بعد جلسة نيمه مع باقي فتيات القسم، أقبلت تتلفت كما لص، واقتربت لتوشوش «رونا»:

- أتعلمين لِمَ كانت «أليسا» مختفية الفترة الماضية؟! لقد أخبرتني الفتيات الآن أنهم قد ألقوا القبض عليها منذ أسبوع، وتم التحقيق معها بسبب مشاركة شخص يسمى «مراد» على موقع «فيس بوك».. أتصدقين هذا؟!

«رونا»: بالتأكيد تهذين!! ألم يُقل «إدريس» صديقها إنها تقضي إجازة مع والديها بألمانيا؟!

ابتسمت «ميلي» بشماتة وأجابت: وماذا كنتِ تنتظرين، أن يخبرنا أين هي حقًا؟! بالتأكيد أخرج من قول الحقيقة، عامه هي من قالت هذا، اعترفت بالقبض عليها وكتبت بالتفصيل ما حدث، نشرته في صفحتها على «فيس بوك»، وقد قرأته بعيني..

«رونا»: حقًا؟! هيا أريني.. انتظري.. هي صديقة
عندي، لنقرأ عمَّا حدث.

وجدت «رونا» أن صديقتها قد شاركت رسالة قالت
إنها عجيبة.. كتبت الآتي:

غريب في بيتي، محسوبة عليَّ السكنات قبل
الحركات، ممنوع من النطق، محرم عليَّ الصمت، وكأنني
معتقل الخطوات، دنياي محكومة، أنفاسي معدودة، والروح
باتت تعصاني، لا النوم ناداني، ولا الصحو هنأني،
وبينهما أفكاري تمقَّتني، بحثت عن حل، وإجابة عن
سؤالي، كيف تكون يا وطني ملجأً لأوهام سجاني؟ أجابني
بألم والشفقة تعلقو محيَّاه: في الأصل يا ولدي، كنت أنت
الجانبي، من باع ضميره من أجل رغبة عاش عبدًا،
تتلقفه الأيام. تذكر أفعالك، وما عنه تنازلت، فعقوبته
الحرمان، من حبي وحناني، والآن من يحكم وطني: أظلمه
أم هو، من يظلمني وينساني؟

* * *

أصدقائي.. رسالة عجيبة جاءتني عبر صندوق رسائل
«فيس بوك» كتب مرسلها:

أنا رقيب «فيس بوك» وأريد أجابتك.. هل هذه كلماتك
على مشاركة صديقك «مراد»: «العودة لنظام الوافدين (أي
التصويت في أي لجنة خارج محافظة محل الإقامة) هو
باب خلفي لمن يرغب في تزوير الاستفتاء»؟

«أليسا»: نعم هذا تعليقي، لكنني...

أستاذ رقيب.. لا أعرف هذا «المراد»!! ولا أدري لِمَ
تظهر مشاركاته لدي!

الرقيب: لِمَ أعجبكِ وعلقتِ لديه إذا يا أستاذة؟

«أليسا»: أأ.. أنا أحب الضغط على كلمة أعجبنى
كتسلية فقط، لا أقصد منها شيئاً.

الرقيب: وبخصوص التعليقات؟!

«أليسا»: أأ...

الرقيب: انتهينا.. لقد عرفنا بينك وفي الطريق إليك.

«أليسا»: سيدي.. انتظر ريثما أرتدي ملابس تصلح، هل ستلتقطون صوري، أم ستقبضون عليّ رأساً؟ كنت أعتقد الأمر مجرد مزحة.

الرقيب: حسبما يقرر الباشا المسئول عن تأمين المملكة.

كنت أعتقد أن الأمر مزحة حقاً، لكنني فوجئت ببشر يقتحمون المنزل بعد ربع ساعة فقط، تحوّل الأمر إلى حقيقة، كارثة فعلية.

عندما هممت بمحاولة الاستفسار؛ عاجلني أحدهم بسؤال: أنتِ «أليسا»؟ (بصوت أجش أفرعني).

- نعم، أنا «أليسا»، ما الأمر؟! (كان صوتي يرتعش بشدة، وجسدي ينتفض.. لأول مرة أدرك كم أنا شخصية جبانة!).

أمسك ذراعي قائلًا: تعالي معنا .

- ثوانٍ أخبر أهلي ..

- فيما بعد (هكذا قال وهو يسحبني كما البعير).

لأجدني بعد ساعة أمام مُحقق يسألني:

- لِمَ فعلتِ هذا؟

«أليسا»: وما ال... هذا؟!!

نظر إليَّ نظراتٍ ينطلق منها شرار .. فأسرعت بالقول:

- يا باشا.. كنت أجاريه فقط، لِمَ أصبح الوضع هكذا
خطيرًا جدًّا؟! ثم إن شخصًا آخر قد أجابنا وأعلمنا أن
تعديل القانون جاء بناءً على طلبات أناس كثيرة تريد
المشاركة وأعمالها بعيدة عن محافظاتها.

المُحقق: لن تؤثرني سلبًا عليّ!

«أليسا»: هههه.. سيدي، اعذرنى فأنا انقلابية.. أساند
الملك لم تراقبني؟!!

المُحَقِّق: ألا تعلمين أن البلاد تمر بظروف عصبية
ويتأمر عليها الكلاب من كل جانب؟ يكفيني دليل كلمة
«انقلابية» هذه.

«أليسا»: لا.. لا.. لم أقصد، وأعلم سيدي أن البلاد
تُعاني، لكنى لست من الأعداء؛ فأنا أريد الخير للبلاد.. أنا
من أبنائها.

المُحَقِّق: كلكم تقولون هذا، ما أنتِ إلا طابور خامس،
عميل يدعى السمو وارتقاء الأفكار، والداك يعملان بألمانيا
وأغلب أقاربك يعيشون في بلاد أوروبية، جنّت هنا فقط
لإكمال تعليمك، أترين أنك تفهمين أكثر ممن يعيشون
طيلة حياتهم هنا لتأتي كما بطل همام سيُصلح الكون؟!
مغفلة!!

«أليسا»: لِمَ الخطأ في حقي وأنا لم أفعل شيئاً خطأ؟!
كما أنني لست بطابور خامس، جُل ما قلته هو: كلا
الطرفين يتسم بالغباء، وكلاهما لديه الكثير من الأخطاء
وعليهما الاعتراف بها لنستطيع تخطي هذه المرحلة.

المُحقق: ألم أقل إنك من الجبناء، طابور خامس يدّعي
الوطنية والانتماء للوطن؟

«أليسا»: يا الله أستجير بك.. أَمَن يَخَاف على البلاد
يوشم بالخيانة والعمالة هذه الأيام؟!

المُحقق: أه منك.. الآن تدعين البراءة، عيناك ذواتا
نظرات خبيثة، ودموعك دموع تمساح.. يا لك من بلهاء.

«أليسا»: لست بتمساح ولا أدعي شيئاً، أنا مجرد فتاة
تتمنى العيش مع صديقاتها بهناء، تستمتع بشبابها هي
وغيرها.

المُحَقِّق: لِمَ تَدْخَلِ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ إِذَا؟ يَا مَنْ تَتَمَنَّى
العِيشَ بِهِنَاءٍ.. كَمْ أَخَذْتَ لِتَعِيشَ بِهِنَائِكَ إِذَا؟ وَمَعَ مَنْ
تَعْمَلِينَ؟ وَمَنْ شُرَكَاءُكَ الْحَقَرَاءُ؟

«أليسا»: مَا هَذِهِ الْاِفْتِرَاءَاتُ؟!

لَأُحَدِّثَ نَفْسِي: يَا لِمَصِيبَتِي! هَذِهِ نَهَائِي مِنْ دُونِ
جِدَالٍ..

المُحَقِّق: لِمَ خَرَسْتَ الْآنَ وَتَحَجَرْتَ؟ أَتُنَافِسِينَ «أَبُو
الهُولِ»؟

«أليسا»: لَا أُدْرِي وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا أَقُولُ!! أَعْتَقِدُ أَنِّي
أَحْتَاجُ لِمَحَامٍ.

المُحَقِّق: إِذَا تَعْتَرِفِينَ أَنَّكَ وَاقِعَةٌ بِمَشْكَالَةٍ عَاقِبَةُ أَفْعَالِكَ
وَعِبَائِكَ، أَجِيبِي عَنِ اسْتِئْثَانِي أَوَّلًا ثُمَّ بَعْدَهَا نَبِّئِي فِي أَمْرِ
ذَلِكَ الْمَحَامِي.

«أليسا»: أأ... (بكاء مكتوم ودموع نازفة، فلا مهرب
من بلاء شك خيانة الأوطان)..

المُحَقِّق: انطقي.

«أليسا»: أتعلم أنني سأصوتُ بـ«نعم» على الاستفتاء؟!
أريد محامياً.

المُحَقِّق: الآن تلجئين للمراوغة بغباء.

«أليسا»: قسمًا بالله لم أفعل شيئاً وأريد محامياً، أريد
أمي، آآآآ.. أريد أمي..

المُحَقِّق: يا هذا، خذها لعنبر النساء حتى تفيق وتقر
بما كان منها، وإلا فلتطلق لخيالها العنان لما يمكن أن تراه
إذا استمرت في العناد..

«أليسا»: لم أفعل شيئاً سيدي.. أنا...

المُحَقِّق: اذهب.

(قالها بصوت جهوري وكأنما هو رعد السماء هبط
على قلبي بشهر أغسطس لألهث ويضيع صوتي هباء).

«أليسا»: ما عليكم من تفاصيل لا داعي لها، كنت
أنتقل من تحقيق لتحقيق من دون هواده، لكن حماني جواز
سفري الألماني من استخدام القوة والعنف معي.

أخرجني بعد فترة وجيزة صديقٌ لأبي عندما أخبرته
مربيته بما حدث لعدم وجود إثبات يدينني، بالإضافة إلى
كتابتي تعهدًا بعدم إساءة التصرف، وإخباري نصيحة أبوية
أنه من الأفضل سفري إلى عائلتي بعيدًا عن أصدقاء
السوء، خاصةً مع دماغ خالٍ مثل الذي أملكه، وهذا ما
تم، لكنني وددت مشاركة ما حدث بعد أن صرت بأمان.

* * *

الله معها.. لو كنتُ أنا لمتُ رعبًا، أتعلمين «ميلي»؟
أشعر كما لو أنهم يقولون لنا: اخضعوا تتالوا بركاتنا.

«عندما أصبح الملكة سأترك الجميع يفعل ما يريد، ما دام في إطارٍ أحده بديمقراطية، سأكون حاكمة مميزة وجميلة».. قالتها «رونا» باسمه..

«ميلي»: ما دمتِ تحددينه!!، أوه «رونا» ألا تلاحظين أن تلك ديكتاتورية مستترة؟ دعكِ من هذه الأمور، ما لنا والسياسة؟! هيا لنستمع بأوقاتنا نحن، ودعي السياسة لأهلها..

«رونا»: يوماً سأحكم العالم أجمع وسترين، سأنصّبك وزيرة للأزياء وشئون المرأة.. والآن، هل سنخرج؟

«ميلي»: وزيرة!! قُلت لكِ دعكِ من أمور السياسة، ثم إنني أريد الانطلاق في الحياة، لا أحب الروتينيات ولا إصدار الأوامر مثلك؛ لذا؛ سأذهب وحدي مع حبيبي لحفل خاص.

«رونا»: تبّاً لكِ، أنانية؛ لا مشكلة، سأسهر أكتب عمّا سأفعله عندما أصل لسُدّة الحكم، وكيف أحوّل البلاد لملكية فعلية..

قالتها ضاحكة تشاكس «ميلي» ..

«ميلي»: لا تعليق.. لن أجيبك بشيء فأنتِ مجنونة،
كثيراً ما أظن جذورك يهودية وتنتظرين لحظة معينة
لإعلان الأمر، أو تنتظرين ظهور أمريكا خاصتك لتُعلنني
عن أصلك.

«رونا»: هل هذا معناه أنكِ تكرهين أمريكا؟

«ميلي»: أهذا فقط ما استتبطته من كلماتي؟ هيا
ننصرف.

ليلة ممطرة

أعلى قمة المقطم يقف وحيداً، يُحيطه الظلام من كل جانب، يناجي نفسه:

إني في الحياة منذ عهد أمارس الحياة كما الجميع
باعتقاد مقيت، حتى سئمت نفسي، وغصباً يوماً وجدت
أني كرهت نفسي وهذا الخفوت، وقفت دقائق صامتاً حداداً
على ما مضى من عمري، ألتقط أنفاسي وأشيع الأمل فيما
هو تالٍ من دقائقٍ تعلنني إنساناً على قيد الحياة.

إنساناً مُطالباً بالحياة كباقي البشر، مُطالباً بالحب
والبوح بجميل العهود، بالبقاء صامداً مستقبلاً لبركات الله
المنزلة لأزرعها فيما هو حولي بود وحب للجميع باسم
الخضوع لرب الوجود..

ها أنا الآن أعلن وجودي بالحياة، إصراري على نيل
حقي من كل النعم، مَن معي سيصرخ منادياً: أنا يا أنت

معك على قيد الحياة؟ أريد شريكة تسير معي رحلة الخلود،
بداخلي أمل سأحققه لأنعم برغد فرح تحقيقي ما أبتغي.

يوماً سأصل إلى حب يغمرنى، فكما حققت الخلود
سأصل لحلمي بحب وعشق ينسيني قرون عمري الماضية
ومطارادات الملاعين الملقبين بصائدي الخالدين.

انطلق بسيارته يتجول في الشوارع والطرق دون
هدف، ربما وجد من تنعش ليلته وتعوضه عن أرقه هذا،
أو عله يجد حبيبة يُغني لها لتتير شموع ليلته الكئيبة هذه،
تذكر أغنيته المفضلة للمطربة سمراء:

ما بين قصائدك وقصائدي لحن موجود، بينهما عطر
سأرح يعبق هذا الوجود، أنين وصدع مفقود؛ حنين؛ حب
ووعود، أنت بحياتي شريك وحبيب معهود، هواك لقلبي
مستحيل مباح، ولأجلك أغني وأدعو بالصباح..

تمام فأعزف ألحاني لعلك ترتاح، وتصحو فأعرد
وأصدح ببراح، عيبك يا هذا صوت غنائي، وفرحك أنت

سر عزائي، أنت وحبك سبب وفائي، أنت حلمي وواقع
هنائي.

* * *

في تلك الأثناء، كانت «رودينا» تسير وحيدة بسيارتها،
تشاهد المطر وتحاول الاستمتاع به كما نصحتها «ميلي»
عندما طلبت منها أن تقضيا الليلة معًا؛ فاعتذرت «ميلي»
بأن لديها مقابلة مع حبيبها «أمير»، ثم عرضت على
استحياء أن تأتي «رونا» لتشاركهما، رفضت «رونا» كي
لا تكون عدوًّا.. فأخبرتها «ميلي»: حبيبي «رونا»، أشعر
أنها ستمطر اليوم؛ اخرجي، استمتعي بالمطر، سيغير ذلك
حالتك المزاجية.

لذا خرجت تتمشى بسيارتها الـ **KIA**، فوجئت ببدء
هطول المطر فعلاً كما تنبأت صديقتها، ابتسمت ببشاشة
لعلمها مدى عشق «ميلي» للمطر؛ فهي تراه لؤلؤًا وياقوتًا
آتيًا من الجنة هدية لمن في الأرض، تخيلت محادثتها
الصباحية مع «ميلي» غدًا وهي تغني لها باسمة:

استمعت لنصيحتك بالأمس..

وسرت تحت زخات المطر..

نعم.. نعم..

أفنت نفسي بأنها مغامرة لذيدة..

الشعور باللمس الناعم لحبيبات الماء..

الاستمتاع بسماع صوت المطر..

هطول مستمر كدقات الطبول..

لمعان للطرقات بجريان ماء متدفق من السماء..

دغدغاته لجسدك معلناً توغله بين طيات ملابسك..

تكوين ذكريات حالية تُمتعني مستقبلاً..

أتعلمين؟! رأيت وجهك..

سمعت صوتك ..

رأيت بريق ابتسامتك ..

ناوشتك من بعيد ..

وأنتِ تلاعبين قطرات المطر ..

ترقصين ..

تغنين ..

تنادينها :

فلتستمرري في الهطول ..

آآه منك ..

ومنها ..

آه من ..

من صديقة عاشقة للشتاء وليالٍ ممطرات..

ومن شتاء ومطر يوقظ الحنين لما فات..

يشعل شموعًا لواهية الذكريات..

يوقظ ما فينا قد مات..

سأصدمها أيضًا وأقل:

أتدريين صديقتي؟

ما زلت أكره الشتاء..

وابنه المطر.

لقاء

لمح «حيدر» فتاة مبتسمة بهدوء داخل سيارتها، رغم قربه منها فإنها لا تلمحه؛ استغرب حالتها وظنها منتشية إثر مخدر ما، لكن لا؛ رائحتها زكية جداً، ولا تستمع لموسيقى، لا تحدّث أحداً في هاتفها، لا شيء.. سكوووون.. فلمَ تبتسم يا ترى؟! هي فقط ناظرة إلى السماء تُشاهد المطر وتبتسم ابتسامة أسرة للألباب.. آه لو يقترب منها، مجرد خطوتين ويكون أمامها..

تغريه نظراتها، يريد لو يلتمها التهاماً؛ آه منها؛ تبدو شهية جداً، برائحة زكية جداً.. جداً.. كما لو مشمش حان أوانه، لمَ لا يستطيع منع عينيه من متابعتها، التدقيق بكل ما فيها من تفاصيل؟ يا أنتِ أجبييني، نعم يا أنتِ..

الضحك ممنوع بودياني، فالبسمة نار بخلجاني، والفرح مقيدٌ بشطّاني، فأياك وإثارة نيراني، وإلا.. سنتدمين وتلعنين إشعالك ظنوني وأوهام جنوني، لست ضعيفاً لأغني

لأحزاني؛ فاحذري واتقي شر ثوراتي، وتجنبي إثارة غضب
نيراني، ولربك اشكري يا أمة من بجبروته هداني الآن
ووقاك شر وحشي ونيراني.

* * *

راقبها لأكثر من ساعة، حتى شعر أنها ستنتطق؛ لذا
قرر متابعتها، أثارت انتباهه وشدته طلّتها بشدة، اكتشف
خلف براعتها الظاهرة قوة وعنفاً مختبئين بين طيات
روحها، وأفكارها عيناها وشتا بها، اشتّم عشقها للسيطرة
خلف هذا الهدوء، تبعها حتى بوابة فيلتها، وعرف المالك
من اللوحة الأمامية، انتظر قليلاً حتى عرف غرفتها، عاد
لقصره المنيع، حيّره عدم استطاعته الهرب من وجهها الذي
صاحبه حتى حجرته، ارتمى على سريره مفكراً فيها، وبدأ
يحدث طيفها..

الجو اليوم شنيع، رياح وأتربة وقمر غريق، مطر يغرق
هذا الكون النرجسي، جو أثار جنوني، جو جدير بنهاية
العالم، بغيابك معذبتني منذ رأيتك بأحلامي؛ وأنا أرغبك،

مع كل لحظة تمر، كل التفاتة منك أشتهيك أكثر، حتى
إنني شعرت بمرارة في الحلق لعدم قدرتي على التهامك،
الذوبان في بئر أسرارك، معك لمست توتر ضعفي أمامك،
الثورة على ذاتي لمقاومة جوعي إليك، سيدتي.. لم أكن
أنوي حبك؛ سيدتي؛ لا أنوي القسوة عليك، لكنك ملكت
عليّ أحلامي..

كونتيستي.. ها هو اليوم صدفة التقيت بك، صدفة
سبحت بهواك، صدفه ارتويت بغرامك، صدفة همتُ
بعشقك، وقصدًا.. سأحصل على عشقك.



«حيدر»

انضم زميل جديد إلى القسم مع «رودينا»، جذب انتباهها منذ دخوله واهتمام العميدة شخصياً بتقديمه وتعريفه لباقي طلاب القسم، يبدو واثقاً من ذاته بشدة، طويل يقترب من المترين، أبيض البشرة بشكل شهبي، يبدو ملمسه كشمع صُبَّ باستخدام تمثال من الكريستال، عيناه بلون العسل المصفى، هادئتان، لكن شفثيه ابتسامتهما حادة كما لو كانتا تقولان: ممنوع الاقتراب، هنا توجد أسلاك شائكة. يبدو أيضاً شخصاً ذا مركز وسلطة عالية من وقفته الشامخة ونظراته الواثقة.

أفاقت على صوت العميدة: «حيدر» زميلكم الجديد، رحبوا به ولا تثيروا معه المشاكل، فهو قادم من أمريكا منذ أيام وسيكمل دراساته العليا معنا هنا، أحسنوا استقباله.

«رونا» انظري إليه، لا أعرف لم انتابنتي حالة من البرودة والقشعريرة، هي حالة رعب غريبة تملكتني عندما

رأيته! «رونا».. هل بعمرِك رأيتِ شخصًا خِفَتِ منه منذ أول دقيقة تعاملتِ فيها معه؟

- لا.. لماذا؟!!

- رأيته في صورة تبدو مريبة؛ صورة أُرعبتني، خِفَتِ منه بسرعة فظيعة.. أسأل نفسي: لِمَ يا خوفي؟! لماذا يا فزعي؟! أجاباني بأن عينيه غريبتان، وجهه برسم عجيب، ملامحه تبدو مُريبة؛ لذا.. فقد قررت صراحة أن أعلن خوفي وفزعي منذ أول نظرة فاحصة.

نظرتا معًا إلى «حيدر» لتفاجأ بابتسامته لهما.. سألت «ميلي»، «رونا»: هل سمع ما قُلته عنه؟!!

- لا أظن.. إنه بعيد عنا «ميلي»، لا يستطيع!!

- بالتأكيد لم يسمع، لكنه أثار رعبي أيضًا بابتسامته هذه، آآه.. هيا دعكِ منه، يبدو شخصًا واثقًا من ذاته؛ بل مغرورًا، هو يُذكرني بشخصية بطل كلماتك..

صاحب الرايات العالية بالحب والغزوات، تنير كقنديل
سُبل غرام الفتيات، لم تحولت وحيداً وسط الحكايات؟ حبيباً
مغامراً.. نعم! لكن متحجر النبضات، دروبنا متشابكة لكن
بِعُقْد محكمات، تحولنا لصخور من رمال مالحة حارقات،
وحبنا صار مملاً بغيض التأثير والقسمات، كيف الفكك
من حصار مشاعرك المميتات؟ متى التحرر أسير
الأحاسيس الباردات؟ أنوثتي.. كينونتي ضاعت بمخالبك
المقيتات، امرأة غيور كنت صاحبة، عاتية التقلبات، صرنا
هباء مَنثوراً وسط تغيرات مُحيطات، مشاعرنا بالدماء
صارت مضرجات، هذه نهايتنا يا صاحب الرايات.

- وهل هو صاحب الرايات «ميلي»؟! -

- لا يبدو عليه تملكه أيّة رايات «رونا».. -

لتغرق الفتاتان في ضحك مستمر.

تقرب واقتراب

من بعيدٍ، رأَت «رودينا» «حيدر» يجلس وحيداً
مستظلاً بإحدى الشجرات القريبة من سور الجامعة،
اقتربت منه وحاولت تبادلَ الحديث معه فكان يُجيبها بردود
مقتضبة، استغربت هذا، فهي متأكدة أنه يتابعها بنظراته
منذ انضم للقسم..

- لِمَ تتجنبني «حيدر»!؟

- لا أفعل.. ثم إنه «دار»..

«رونا»: ماذا؟

- نادني «دار»، لا أحب «حيدر»؛ أفضل أن تتاديني
«دار» كي أجيب نداءك..

ابتسمت.. وعندما لمحت تغضن جبينه بغضب، قالت:

- أعتذر، تذكرني بشخص ليس إلا، أتعلم؟ تبدو غامضاً مثله، نظراتك حادة ولكن فيها شيئاً جذاباً، وجهك جامد التعبيرات، ومع هذا ألمح ابتسامتك المخفية..

- أتغازليني «رودينا»؟

قالها «دار» ساخراً.

- لا.. بالتأكيد لا.

لتحمر وجنتاها وتشتعل بهما النيران، حاولت تغيير مجرى الحديث فقالت:

- تعرف اسمي! أمر جميل.. لكنني مثلك أفضل «رونا».

- سمعت صديقتك حمراء الشعر «ميلي» تتاديك بـ«رودينا».. لكن حسناً «رونا».

ضحكت بشدة وقالت:

- سيعجبها «حمراء الشعر» هذه، فقد تعبت عليه كثيراً
ليصل إلى هذه الدرجة..

لم يرد أو يعقب، اكتفى بالتحديق بملامحها دون أن
ينطق بأي حرف، كانت كل جزئياته ترتعش في حضرتها،
ذراته تضج، تتمنى لو انفجرت ملتهمة إياها، عندما لحظ
نظراتها الحائرة من تحديقه بها هكذا بحدة، نظر للسماء..

- أتريد مني الانصراف «دار»؟! -

- لا.. -

- «دار».. لِمَ تبدو عليك مشاعر الحزن والضياع؟!
جرب أن تبتسم وتعيش تجربة جديدة، تغييراً للذات وتجديداً
للروح وما تحويه من أفكار، وتتعشها، إنارة لما أظلم داخل
روحك، جرب العيش بفكر آخر، الشعور كأنسان غيرك،
رؤية ما حولك بمنظور مختلف، وضع مبادئك وقيمك قيد
الاختبار لمعرفة مدى ثباتها وأصالتها.

- «رونا».. أعتقد أنكِ لست مقتنعة بما تقولين شخصياً، لست أنتِ مَنْ تستخدم أسلوب التنمية البشرية ويرمجتها اللغوية وهذه الأشياء.

- «دار».. لِمَ ترفض كلماتي؟! أنا أعشق الفلسفة والأمور الخارقة للطبيعة وأؤمن بها بشدة، جَرَّبَ أن تعيش ببراءة نية ونوايا صافية، بهدوء ورقي كأساس تعامل، جرب التوغل بضمير متيقِّظ وأمين في الحياة، العيش بكل ما فيك لتحكم على ما رأيته بإنصاف، ابحت عن تجربتك، عِشْ بتوغل داخلها، مُر بكل ما فيها، المساوئ قبل المزايا، مرها قبل حلوها، عشاها كاملة، وعندما تنتهي جهِّز كشف حساب وقيِّم نفسك.

«دار»: ماذا سأستفيد من كلامك هذا وتجربتك تلك؟! حياتي فعلياً تحوّلت منذ زمن بعيد، لن تتغير ثانية؛ الآن أنتِ من ستتغير حياته، وسترين..

«رونا»: اسمعني، الأمر ليس تحدياً بيننا، جَرَّبَ سنكتشف إنساناً آخر يستعمرك، إنساناً كان مخفياً بين

طيات عاداتك، إنساناً صقلته تجربته وأنعشت ما فيه ونقّت مفاهيمه، ثبتت مبادئه الأصيلة، لم يمُت، ها هو ما زال على قيد الحياة يتنفس، يتحدث ويمارس شعائر وطقوس حياته كاملة.

«دار»: الحياة ذاتها أكبر تجربة تعاش يومياً، فعيشي أنتِ الحياة ومارسي حياتك بأمل وتفاؤل، فهناك دوماً الجديد مما سيفاجئك، لكن كل شيء في حينه، عيشي واستمتعي بذاتك وانتظري ما سيأتيك مع الأيام.

«رونا»: تبدو بكلامك هذا مثل شخص مسن يُفزع!!

«دار»: أنا فعلياً مسن «رونا»..

«رونا»: اسمعني، نحن نحيا بالدنيا مرة واحدة لنموت مرة واحدة ونعيش حياة أخرى إلى ما لا نهاية، عمّر هذه الحياة الفانية لتستمتع بالدائمة في خير ورحاب الله.

«دار»: لا أومن بحياة أخرى، أنا ملحد بكل هذا، رافض للأديان والمعتقدات البالية، مقتنع بالخلود فقط.

«رونا»: الدين ليس معتقدات بالية، بل نحن من لا نستطيع استيعابه، لا يوجد خلود، هو وهم نسعى إليه.

حاول تركها دون توضيح أو إذن، لوَّح لها مودعاً وهمَّ أن ينصرف، فتارت قائلة له:

- يا أيها المهرطق القادم من بلاد بعيدة، بباب دارك
لاجئة هائمة في بلاد الله وحيدة، تعذبت كونها
شريدة، فهلا منحتها القليل من وقتك! تنادي كل
الأنام بلا مجيب..

يحيط روحها جو مريب، كلماتها ممزوجة بإحساس
غريب، فهلا تكرمت وأصغيت، هلا قليلاً تواضعت، لا
تثُر، لِمَ الغضب؟! جُلُّ ما طلبته فسحة وقت لعرض
الطلب، ألا يسمح لك تمدنك؛ تحرك؛ بمنحها جواز مرور
لعالمك!؟

توقف «دار» حتى انتهت من كلماتها وقال لها:

- بالتأكيد لنا لقاء آخر، مضطر للاستئذان الآن، لديّ موعد مع طبيعتي وإلا سيندم كلانا.. سلام.

لم ينتظر ردها وانطلق مبتعدًا، كان يشعر بإرهاق وتعب بكل أجزاء جسده، نظر إليها مرة أخرى من بعيد، لو تعلمين «رونا» قيمتك لديّ، فقط لو تدركين، يا سكّين في القلب غائر، لِمَ البعد عنك جائر؟ يا حبيب بالقلب ساكن، لِمَ القرب منك يجعلني تائها؟! يا عشق بالفؤاد سائر، لِمَ حزنك كئيب وفاتر؟! يقتلني منك اهتمام مجامل، لاضطراري منحك تجاهلاً مستمرًا، قُرب، وبعاد موزون بحساب قاتل، معك دنياي جدول ضرب مقسوم على صفر، رغم أن حُبك يزيد بقلبي بشكل مستمر.

* * *

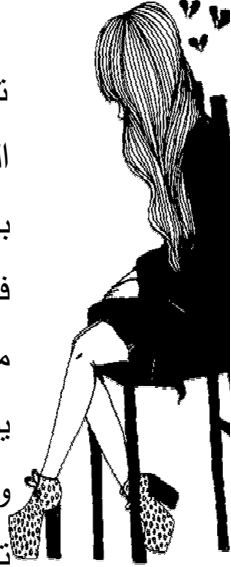
حاول «دار» محادثة «رونا» صباحًا، لكنها لم تمنحه فرصة للاستفاضة، تركته متحججة بمحاضرات ستحضرها وانصرفت، اعتقد أنها ترد له ما فعله؛ لم يعلم أنها تحضر المحاضرات فقط لأنها تنام ساعتين لكرهها النوم، كما أنها

لا تريد الجلوس مع الأصدقاء بكافيه الجامعة، ولا البقاء
بالفيلا وحيدة، نظر إليها وهي تتبعد مخاطبًا نفسه: ليتك
تُدركين «رونا» حجم وجودك بحياتي ومعناه.

أنتِ.. حب وصفاء للبال، عشق ونقاء للحال، أمان
يغمرنى، يا قاسية الأحوال، يا أنتِ.. لِمَ دومًا العنف
أسلوبك، عقاب لمن منك ذات، وأنتِ له حياة وغرام؟ هلا
أتيت ليهدأ بالي؟! فقط لو تُدركين؛ عليّ إعادة تشكيل
وقولية شخصيتك أكثر لتتحلمي ما نحن مقبلان عليه.

قبر علمي

تسرح «رونا» دومًا في أثناء شرح الدكتور مادة التشريح؛ تعتبرها مادة خانقة؛ فهم لا يفعلون شيئًا ذا بال يناسب الاسم أو ما اعتقدت أنهم سيعلمونهم فيها، ترى المعمل قبرًا مغلقًا، بل سجنًا فرديًا، مسجونة هي في قاعة مغلقة، وهناك بصيص نور يظهر ويختفي من الأعلى وكأنما يغيظها لأنه حُر وهي محبوسة في الداخل، الرائحة خانقة تشتت تركيزها، فورمالين مقرز.



عندما يهل عليهم الدكتور بابتسامته الباردة، ونظارته الطبية المربعة، ورغم وسامته وطلته الحسنة، فإن كل هذا لا يشفع له في تخصصه بتدريس هذه المادة السمجة، اليوم وبكل سخافة أمرهم بارتداء «الجوانتي» الطبي وتجهيز المشروط وإبر التشريح؛ فضحية اليوم ضفدعة، كما

لو كان يخبرهم أنهم سيصنعون قنبلة ذرية لنسف قارة أفريقيا وتخليص البشرية من مصدر بؤس إنساني مستمر.

تتساءل: وماذا بعد تشريح الضفدعة؟! حمامة، صقر أو ثعبان مثلاً، وربما نشرح إنساناً يوماً على سبيل التغيير؟! عندما تُخبر «ميلي» برغبتها تلك، تصرخ فيها: ولم نشرح إنساناً؟! لا أعلم كيف تفكرين هكذا، لا يبدو على ملامحك العنف، أخاف أن أنام معكِ ليلة؛ فأستيقظ وأنتِ تُشرحينني!!

قالت «رونا»؛ ليس إلى هذا الحد صديقتي، ثم عليهم تعليمنا لأجل العلم، اكتشاف المجهول، التعرف على أسباب تنوع أفكارنا رغم انحدارنا من الأصل نفسه (آدم)، وللتسلية والمتعة، ما المانع؟!

في الغالب لا تقتنع «ميلي»؛ لذا تُخرج «رونا» دفترها خلسةً وتكتب:

إنه هدوء الصباح القاتل، يسرق مني حتى أنفاسي،
يسلبُ مني ذاتي، يتركني وحيدة مع آهاتي، يغتال أحرفي
كي لا أسأل: متى أنال أمنياتي؟ يدعني وشأني لأستحضر
وجه شخص يشغل بالي، لأسأل عمّا يعبق روعي تجاهه،
أحاول إيجاد تفسير يُرضي عقلي، لأعيش معه ساعات
طويلة نتناقش بشكل متحضر فيما هو قاصٍ ودانٍ.

كثيرًا ما تتحول نقاشاتنا لمشاكسات رجل وأنثى تنتهي
بكون آخر زاهٍ، ها هو قد جاء، فسلام منكم وإليكم، فلديَّ
موعد آتٍ، يا هذا تعالَ أخبرني..

لِمَ فجأة تحول رعد وبرق سماء الدنيا ذاك المصحوب
بلسعة برد خفيفة تلاعب وجهي إلى لمس يد دافئة تغمر
قلبي في بحر ملذات شهية؟! كما يعطره عبير بحر غير
مرئي وعذوبة بسملة طائفة تسعى بين عينيَّ وشفتيَّ ببراءة
ليتحول شتائي إلى صيف مدغشقر الخلاب ببساطة!!

هيا أخبرني.. ما الأمر؟ ربما هذه حالة حب!! آه يا
ربي.. أمعقول هذا؟! الآن أشتبّه بمشاعري..

أتعلم؟ فسرت ما ألمَّ بمشاعري على أنها تُحب!! إنها
حرب نفسية ذخيرتها كلمات مني ومنك، موجة لطرف
ثالث مجهول، لكننا ندرك أنها مني إليك، وإليك مني،
ونعلم أنها مقصودة، مرسوم ملامحها لتبدو بريئة.. أعتقد
أني أدمنتك وانتهى الأمر.

يا هذا.. هناك العشرات، بل المئات، يقولون أحبك،
وهناك مثلهم تنطق أفعالهم: أعشقتك، لكنني أدرك جيداً أنه
لا يوجد سوى شخص واحد فضحت عيناه صباً وجوى
استعمر قلبه، شخص واحد توّجني ملكته، كونتيسته، حتى
إنه زرع الكون وروداً وأزهاراً، لتتطلق فراشات وجداني
بأمان وسلام، هذا فقط هو حبيبي وسكني.

* * *

في الاتجاه الآخر، وقف «دار» أمام طاولة المعمل
التي على شكل حرف **U** وتحتوي على كل ما يحتاجه
الطالبة من أدوات التشريح لإجراء ما يطلبه منهم دكتور
المادة، مقابلاً لـ«رونا»، يتابعها خلسة، يخاطبها بأفكاره،

يرسل إليها رسائل فكرية تصلها فتبتسم، متوهمة حديثاً خفياً بينهما، رسائله تقول: رأيتِ الكبريت واشتعاله؟! أشعرتِ بلهيب نيرانه، ثم فئائه لأجل هدف مهم؟! رأيتِ الدخان؟! أتشمين عتابه؟! هذا أنا وأنتِ وليالينا.. حبي وحبك وهوانا، نموت ونذوب بسمائنا، يختفي الكبريت، فيذهب كل الراصدين، نختفي؛ ونحيا في نَفَس الليل، يمر الليل ويأتي النهار لنضحك ونسابقه، ثانية، ننام في حضن الليل، أحبك «رونا».

* * *

ازدادت أواصر المعرفة بينهما مع الأيام، وصارا يخرجان معاً كلما سنحت الفرصة، التي للمفارقة تسنح كثيراً، يجلسان في مكانهما المفضل بالنادي، بعيداً عن الأنظار، يغلفهما الصمت بشباكه، فجأة قال «دار»:

- «رونا».. أحبك، لا أعرف كيف! فأنا كائن غير صالح للحب، وغير قادر على تقديم الحب، ولا أن أترك

المجال لفتاة أن تُحبنى، هي أيام تمر معي، الله العالم ما هو مخبأً لي بالغد في جرابه..

«رونا»: اعتقدت أنك ملحد لا تؤمن بالأديان!

«دار»: آه فعلاً تذكرت، كنت قد نسيت..

كنت يوماً مؤمناً، كانت لديّ نقطة ارتكاز هوت مع مرور الزمن (قالها مبتسماً).

صمتت «رونا» قليلاً ثم قالت هامسة: أحبك.

«دار»: مخبولة.

«رونا»: «دار».. أهواك.

«دار»: بل أنا من أهواك..

وأنتِ تتدللين ولمشاعري لا تحتوين!!

«رونا»: كيف؟ أنا عاشقة! بأحلامي دومًا أراك
شريكي.

«دار»: لم لا تُسكنيني قلبك إذًا؟

من أنا بعمرِكَ يا من تملكين في الوتين؟

«رونا»: تُهينني بتقليل مقدار حبي والاستهانة بمكانتك
عندي.

«دار»: بل أنتِ من لا تدركين عذاب روحي ببعذك،
موتي بجفاء يدك ليدي.

«رونا»: ما بيننا هو اختلاف تفسير لمكنون القلب
وأسلوب إظهاره.

«دار»: من يحب يثق، وأنتِ لا تتقين..

«رونا»: عدنا للبدء بسوء ظنك.. آه يا قلبي المسكين.

ساد الصمت من جديد، واحتل كامل الصورة..

تنظر إليه «رونا» مدققة وتسأله بحذر:

- هل لقولك علاقة بوقوفك مع تلك الفتاة (جاردينا)،
من قسم الكيمياء، صباحًا؟!

«دار»: ماذا؟ ألم أقل لك إنك لا تثقين في؟!

«رونا»: دومًا ألمح نظرات الحب منطلقة من عينيك
تجاهي، لكن اليوم، اليوم شعرت أنك منسجم معها، تبدوان
متقاربين وتحدثتما لفترة طويلة..

«دار»: لا تعقيب لدي!! كما أن شخصيتك لا تليق
عليها الغيرة «رونا»!!

«رونا»: لا أغار، كتبت لك هذه الخاطرة، عليَّ
الانصراف الآن.

تركزت خاطرتها على المنضدة أمامه وانصرفت..

* * *

ناديت عليك ..

وتعلمت الإنصات لهمسات جفاك، أحبيت الوحدة في
بحر غرامك، تحولت لنمنمات رسوم حروف هجاء جواك،
تمنيت الموت بين يديك وبعنف هيامك، هويت طباعك
وجميل صنيعك وحتى غيومك، تقطعت لأشلاء جزاء
عذاب هواك، عشقتك وصرت حبيباً دون أن ألقاك، سميتك
قاتلي يا رجل بحجم الكون أتمناك، بكل عنف ألقيتني،
أحبيت غيري لأتحول لمجنون سمائك ..

يا من تركتني لأعيش عصور جهالتك .. أقترب
وتبعدني .. كأن بيننا حرباً شعواء طحنتك ..

يا رجل لقرون حياتي بسخاء ملكتك .. ارحم من باتت
إحدى جواريك وعشقتك .. من بحسن الخلق والأصل
اتسمت ..

بشهادة جميع أخلائك .. للحب والعشق قدمت .. وعني
تبغى إعلان جلائك ..

يا قاتل عاشقة سكرت بملذات صفائك .. مفاجأة قد
حلت ببداية العمر تتجيه بنقائك .

يا من تجليت كبهاء وبحسن الأخلاق أراك، لربي أدعو
لأذوب في عشقك وآهاتك، يا من تعيش داخلي في عالم
الاختلافات، أهواك يا من يرسل الحب إشارات، انظر
والتفت لمن عشقتك، وبهواك حرباً شعواء أقامت ..

صريعة عشقك قد صرت، وأنت في عوالم جوفاء
صماء أقمت، هل حكم الله على حبي بالفناء لعدم تكافؤ
الأمنيات؟!

احكم بشرع الله، وما تراه فلعلك تجد سبيلاً آتياً، ماذا
أفعل؟!

قد باتت كرامتي وكبريائي في مهب الريح بفضلك،
كيف السبيل لنيل مشاعر قد صارت للغير حق تملك؟!

* * *

أدرك «دار» حجم المأساة ومدى حب «رونا» له، لكن لم يُسغه التفكير بتصرف يليق، هل يلحق بها ويشرح لها كل شيء؟! هل يُخبرها أنه لا توجد بحياته سواها؟! لا يدري، فعلاً لا يدري الآن ولأول مرة ماذا يفعل! يريد الاقتراب منها أكثر، وفي الوقت ذاته يريد التأكد من قدرتها على تحمل ما سيحدثه وجوده في حياتها مستقبلاً، هي جزء منه عليها أن تُدرك ذلك، ظل مكانه ساعةً حتى هداه تفكيره إلى إثارة غضبها الأنثوي بإحدى خواطره.

* * *

يا فتاة، تعشق التذمر والملام، تهوى ثرثرة العوام، وتزيف خرافات الكلام، فتاة، تأتي بالأخبار وتزيدها كالجواري!! ألا تتعبين أو ترهقين مما لا يفيد؟ ولكن لِمَ ألوم، ومن الرجال من يشبهك أو يزيد؟ ضاعت معهم رجولة وهيبة الوعيد، تاهت في بحر اشتهاة قول المزيد، أنا رجل، يا فتاة الكلام المستطير، يهوى الكلمة سراج منير، رجل، يهوى الصمت عزفاً وغناء، يعشق السكوت

دهاء وحياء، فأنا رجلُ الكلمة لديه بميزان، تبني مدائن
وتعمرها بالسكان، أو تحولها رمادًا في ثوان؛ فيا أنتِ قيسي
معي الكلام، بميزان ذهب لننعم بالأحلام.

* * *

سيمنحها إياها في الصباح قبل موعد معمل التشريح
الذي تكرهه، لم يعلم بعدُ سبب كرهها هذا، فهو يستمتع به،
شعر بسعادة كبيرة وهو يتخيلها مغناظة بشدة، لكن لن
تستطيع فعل شيء خوفًا من دكتور المادة غليظ الطبع،
سيخبرها أيضًا أنه طلب من «جاردينا» الابتعاد عن مجاله
وأسمعها ما يوجع.

* * *

أدرين يا من تتخايل بمجون، وتُثير الصخب بضحك
مجنون، تتاغش هذا وذاك بعينين ساهيتين، مُتعلقة بمن
عنها عيناه لاهيتان، تتمنى قلبه في ليلة قمرية، فتمسح

كقط عشقته جنية، علها تخطف لبه وصفاءه، يا متغافلة،
من اخترته مشاعره معك غير مبالية، ولقربك أبدًا ما
اشتهدى ثانية، عشقه لغيرك ربح عاصف، عشقها أشهى
من أبهى وصف، فهلاً لحياك عُدت، ولقلبك حافظتِ
وصنتِ، فالحب أبدًا ما كان بالغصب، العشق لذته شغف
وقرب، فاعلمي، قربك لا يروق أحاسيسي فلا تُزيدي، فإن
هيامي لمليكة قلبي ووريدي.



إعلان حب

قبل موعد المحاضرة بثلاث دقائق تقدّم منها ووضع
خاطرته أمامها وانصرف، كما لو كان نسمة هبت واختفت
في ثانية، ابتسمت، فقد اعتقدت أنها خطاب غرام مشتعل
بقناديل الحب، قرأت، فتجهّم وجهها، وبدأت ترسل له
نظرات نارية حتى انتهى الدكتور من الشرح، بين الفينة
والأخرى تمسك ورقاتها لتُفرغ كتبها بانفعال شديد، حتى إن
الدكتور نبهها أكثر من مرة، ثم حدّرها من الطرد إذا كررت
ذلك، كانت تحدث نفسها: آه منه!! يقول إني فتاة ثرثارة،
أنا من العوام؟ سأجعله يندم على هذا.

وأخيراً جمعت شتات نفسها وخطّت له:

- أتصنّفني مع البشر الجهلاء؟ اعتذر أو ستندم.

* * *

أعطت الورقة لزميلها الواقف أمامها وأشارت إلى «دار» كي يوصلها لمن يجاوره، وهكذا حتى تصل إليه، فتحتها، ثم منح «رونا» ابتسامة باردة فقط، فاشتعلت نيرانها من جديد، وتصلبت ملامحها كما صخرة صماء.

خاف من رد فعلها هذه المرة، فكتب بضع كلمات علَّه يرضيها، وأرسلها إليها:

- قالوا عني مجنون، مجذوب في دنيا الخيال سارح وضائع!! آه لو يعلمون، أني كنت يوماً للمشاعر شاعرًا، أكتب قصائد حب خيالي، وكانت ريشتي وألواني، نبض أيامي بها هيامي، الكتابة لي بيت، بيدي بنيته وسكنته، كتاباتي ابن ليس له وجود، لكن فجأة، جاء طيف جميل..

من خلف غيومي ظهر، قال كلامًا كبيرًا، قلت: أعيش الحياة، أشرب معه الحب كاسات، لكنه يوماً أخذ القرار الغريب!! قرر أن يبتعد بعيدًا عني، أفسد أرضي ثم ادعى حرقها لإعادة الإعمار، يصر على تحويل مشاعري لكره، ومع ذلك يلومني!! جاء معاتبًا الجفون لتنفيذ قراره

المشئوم!! كأنما أنا من سلك درب البعد وتركه شريداً!!
حاكموه..

بل حاكموا قلبي، أجبروه على الانصياع لإرادة
الحبيب، فلم العناد؟! أخبروا الحبيب أن يطمئن ويرتاح،
سأحقق مطالبه، وأسير بغير درب الحب، ذاك الدرب
المدفون بوادٍ سحيق بحياته!! سأقول له: فضلاً، ارحل عن
عمري وعن روحي؛ فالأمر صار مميئاً. يقول: ثورة،
سأثور وأطير بعيداً عن محياه.

يكفيني تكراره لجملة: «حبيبي، ذكّرني بما كان،
اجعلني أندم قدر الإمكان، كي أكرهك أكثر، فأنبذك أكثر
وأكثر، يا ربي! في القاموس الجديد للحياة صار الشعار:
كن قوياً لأكسرك من جديد».

حبيبي، بصولجان غرامك كنت تُخضعني، وبقبلة
متأنية للحياة تلقنتني، ولسلطان عشقك أرضخ، تُهملني
فأغضب وعن حبك أتوب، ثم أعود وأرزع في قيدك فتعتر
وتُفاخر فأثور وعنه أتوب، ثم أعود، فتعود.

أنهت القراءة ثم تركته في عالمه من دون أن تجيب
بحرف يهدئ ثورته، أخرج ورقة ثانية وظل يكتب لدقائق
مرت عليه كثنائية واحدة، وأرسلها إليها ثانية.

فتحتها بتؤدة لتقرأ ما كتب، كانت تتوقع اعترافاً بالحب
وتذلاً لترضى عنه، لكنه فاجأها؛ فلقد كتب:

يقولون: كل شيء بأوان، فمتى يأتي ربيع قلبي معك؛
وقد حل خريف عمري، ورحل ربيع بهجتي، ممتطياً جواداً
متهاكماً؟ فأحلامي واحداً خلف الآخر تضيع مع العمر،
خريف يتبعه ربيع يتبعه خريف، بلا أمل أو سبيل
للوصول.

طيفي المعذب اتهمني زوراً، رماني بقسوة بكلمات
تذبح، قال: مُغفل أنت، بدءاً أهديتني فتيل الثورة لأفتت
قيود حريتي، وشمّت أنت في نبرات صوتي، يتعثر بك كل
من يحاول الاقتراب، ثم بكل حُرق عُدت متهدل الكتفين،
تتعى قوة كنت تتوهم أنها ستحميك شرّاً ما سيكون، كُنت

حلمًا للروح تقوُّبها على غدر البشر وقهرٍ منه الظهر
قُصم، أهديتني حرقه قلب؛ لذا سأهديك قلبًا قاسيًا متحجرًا.

كنا كطفلين امتهنا العشق دربًا دون دليل أو خارطة،
في السهر آيات ترتل عشقنا الذي أنتَ أهل له، تزجرنا
عصا اللوم لتردعنا، فتزيد مناوشات شقاوتنا رغم البعد كما
عناد طفل وحيد رفهته الحياة بملاعق من ماس فريد.

ليتكَ تُتكر هوى غيري فأرتاح وأهدأ، بدلًا من صمتك
الأثير، لِمَ تُعاند وتراوغ وفي المراوغة قاتل وقتيل؟! لا
تستمر صلداً هكذا، فأنت تقتل ما مضى بيننا، فهل تفعل
هذا عمدًا لتفسح المجال لمستقبل تراه قريبًا؟! هل الآن ما
يجمعنا هو الحنين؟!!

مزقت «رونا» خطابه إلى قطع صغيرة جدًا ألقتها
داخل حقيبتها، فتحت دفترها ونزعت ورقة لتكتب ما
يغيظه:

- أحباتك كُثر، الأولى كانت فرعونية الطلة، بتعاويذ
وسحر الجن سرقت القلب، والثانية رومانية الوجه والخلق،
مصارعة كما نمر هائج سرقت اللب، والثالثة عربية بسمار
الشمس خطفت النظر، أما الرابعة فقدس الأقداس بلامح
لاتينية ملونة بروح عجر الأسبان، والخامسة أمازيغية،
شعلة نار متقدة تحرق وتفتت، والسادسة تيوليبي أصفر
تتحايل علَّها تسرق الخد بقبلة.

حبيبَاتك في الماضي كن كثيرات، وفي المستقبل أكثر
وأكثر، حاولن نزعك مني، فهيا، أنتَ لم تعد قدري،
وسيزهر نبت أقحوانك خارج مُدني، فهل هدأت وشاياتهن
الآن بعد أن ودعتني؟! بتُّ أبغض كل مؤنثة من جريرتك
أنتَ.

ليتني أُصدق صدى صوتك فأرتاح، ضاعت الثقة
والسكن ولا أجد المفتاح كي يعود الثغر ينبت البسمات يا
صاحب العبرات، وتلمع العيون بشرارات العشق، وتهدأ
الروح مهددة للنفس بوجود أمل في ضمة أمان تتسيها
الآلام، كي يلتئم الصدع وتعود الحياة مبهجة يا خلي

الضائع بين الآهات، حبيبي على جمر من لهيب غامر،
تتقلب الروح على مهل، تشتاق للقاء يحل بلا موعد، بلا
أمل في لحظة انتهاء للشقاء؛ فيا نغزات صمت غائرة
بالفؤاد، صبراً على نفس لم يعتد قلبها الثائر الصبر أو
الانتظار.

اسمعي، عصر الشعوذة وإطلاق بخور النبوءات قد
ولّى، والآن أن أوانُ ثورة الشمع العاجي بشتى ألوانه
وطوائفه على كل طقوس العشق، لا غجرية أو أمازيغ
سيشعلون ما يسكنكم من ثلج، لا أسبان أو بربر
سيحتضنون لأجلكم الجمر، لا عذراء فرنسا عليكم سنّادي
ولا ثيب أمريكا لرجولتكم سنّلاغي، أنت وعازلي قُلتم:
عورة، قُلتم: حرمة، قُلتنا: والله عليكم سنّقيم الدنيا، فإما نحن
وإما إياكم، وإلا فلننصهر ولتُمّت الثورة، كي يُبعث جيل
يحمل راية مشتعلة بدماء حرة.

لقد أجادت إثارة غيظه بجدارة، حاول التفكير في وسيلة
توقف اتهاماتها، بعدما صمّت أذنيها عن سماعه، توتر
وحاول مراقبة زملائه ولكنه لم يستطع الصبر فكتب ثانية:

أخبريني، كيف تكون القبلة لغيرك؟! بل كيف يكون
دفع الحزن لمن عداك؟! أترينه بسيطاً جداً نسيانك
والغوص في سواك؟ خاتم الصمت في بئر سرك ييوح،
فهل تهتم بهمس الثغر وتهمل شهد الجفون؟! أخبريني،
ماذا لو سرقت ماسة من شفتيك الآن وأجلنا أخرى أعمق
للمساء؟

يا حبيبة القلب.. ما زلت كل ليلة أنتفض فزعاً، كي
أتأكد أنني لم أضبط هاتفي على وضع صامت، وقرون
استشعاري سهت عن التقاط عبير مكالمتك، فلا أجد إلا
الفراغ وجزيرة قطني يواسيانني في فقدي إياك، لكن صبراً
قلبي، علينا فراقه؛ فهو لهذا الأمر يطلب ويشاء.

قرأتها «رونا» وببساطة قامت بتمزيقها، ثم ألقته في
سلة المهملات غاضبة، فما لها هي وقصصه عن أخرى
تركته وادعت أنه البادئ الظالم، هي فقط غاضبة منه ولن
تتركه!!

«ميلي»

جالستين على سرير «رونا»، وكعادتها «ميلي» تثير زوبعة صوتية بثرثرتها وصوتها الصارخ، مع بعض المؤثرات الحركية بيديها، تناسب كل حرف تنطقه.

- «رونا»، لن أتركك حتى تخبريني بما يدور، بتّ تهريين مني كثيرًا، تذهبين حتى لمقابلة «دار» وحيدة مستغنية عني، ماذا دهاك؟! أريد أن أعلم ما يدور بينكما، هيا أخبريني الآن، الآن.

- حبيبتي، أنا والبرد نتشارك، في كوب حمض الأيام محلّاة بعسل ظلم وقهر نفس، بسبب ضياع الأحلام، مذابًا في تقطير ماء نل الاحتياج لبعض الأوهام لتدفئني.

- هههه، هيا، لا، ليس البرد السبب، هيا أخبريني الصدق ولا تصمتي هكذا، منذ جئتِكِ وأنتِ صامتة، أو

تتعلمين بأشياء واهية، هلا أجبتِ وأرضيتِ فضولي؟
تعلمين أني خائفة عليكِ صديقتي، أليس كذلك؟!

تناولت «رونا» دفتر خواطرها، فتحت إحدى الصفحات
وناولته لـ«ميلي» التي أخذته بلهفة، وبدأت تقرأ، لتتغير
ملامحها لدهشة فظيعة، وتمتلئ عيناها برعب غريب، بعد
أن قرأت:

- يا رجل اعتاد الجلوس والتوضؤ بأهات المحبات
العاشقات لإرضائك ووصالك، أنا غيرهن، مثلك اعتدت
صدًا كل غازٍ مقرب ليثبت أنه المستحق لاحتلال أراضِيَّ،
اغتنام كنوزي وسحب أحلامي، نيل أنهار آهاتي وأنايتي،
الاجتسال بضعفي وحنيني وحبِّي إليه.

انتظر..

لِمَ أفكر بك وكأن بيننا قصة عشق ملتبهة؟! لِمَ تحتكر
لياليَّ وتنتثرُ أشياءك لتمسك بتلابيب أفكاري؟! كيف تفعل
هذا وقد نمت وتركتني لمعاناتي بعيدًا عن أحضانك؟! آه
منك، لست معي بكون واحد، بل أنت شريكي في دائرة

أصغر، تفصلنا بضعة كيلومترات بقدرات خارقة تجتازها،
تأتي لأشتمَّ عطرك بمكاني، لأشعر بأحضانك دون أن
أراك أمامي، أنتحكم بعقلي الباطن، أم أني حقًا أهواك؟!

بأنهار عشق وعدتني لأروي عطش السنين، أشيع
هجر لذتي لحياتي طوال فصول، وعدتني بفصول عشق
تعوَّض نحر أنوثتي على أعتاب أوثان صمَّاء بكماء عن
وجعي وأنيني، تجعلني أسمع دقائق غرامك على أبواب
قلبي، أسمعها صرخات فرح، معلنة البداية معك، النهاية
إليك، الضياع بحلم اقترابي لسماع ضربات قلبك، لمس
نبضاتك بأصابعي، إثارتك بنيران نظراتي، إشعالك بهمس
حركاتي، رؤيتك صارت كعزف ترانيم نشوة حب بأذني،
لحن أنشودة عشق بحواسي، ملاعبة أوتاري لتتوتر
خلجاتي، أنا أحبك وعلى أعتاب عشقك جنَّت تائبة، فهل
تقبل ابتهالاتي؟!

بسببك كونتي العزيز، انهارت منظومتي لفرض
الحماية والأمان على مجريات حياتي، بل أنت حطمتها

عامدًا، نعم حطمتها، أفنيتها، كأنما لم تكن يومًا في
الوجود، كيف فعلتها؟! بل لِمَ فعلتها؟!

* * *

- «رونا»، ما معنى هذا؟ لم أفهم، مرعب ما كتبتِ،
ما الذي تقصدينه؟!

- الأيام ستُجلي كل شيء بأوانه «ميلي» فاصبري

- تُقلِّقيني عليكِ، قالتها وهي تنكس عينيها حزنًا.

نظرت «رونا» ساهمة خارج إطار نافذتها وقالت:

- لا داعي للقلق صديقتي

* * *

جاءت والدتها إليها في غرفتها ولم ترسل المريية
كعادتها تسأل عن أحوالها: أتريدين نقودًا؟ أينقصك شيء؟

لتكون إجابتها الدائمة: لا أمي، لا ينقصني شيء، لكن ظلت والدتها جالسة على طرف السرير .

- أمي، هل هناك شيء ما؟ أتريدين أنتِ شيئاً؟!

- أنا أمك!! أريد الاطمئنان عليكِ حبيبتي، اتركي الـ«لاب» وتحديثي معي قليلاً.

- اممم، ماما تترك أعمالها شديدة الخطورة والأهمية وتأتي لتتحدث معي، يا له من أمر جلل، ألا يعتبر هذا إهداراً لوقتكَ الثمين؟ أنتِ مريضة؟ أعتقد أن يوم القيامة قد حان موعده أمي، لن يصدقني «لوي» عندما أخبره (قالتها ضاحكة).

«حليمة»: حسناً، كفاكِ مشاغبة، سمعت عن صديقك الجديد هذا الـ«حيدر»، الحكايات كلها مقتضبة ومجملها أنه شخص غريب لا يؤمن بشيء، لا أريدك أن ترتبطي بمن قد يثير مشاكل ويؤثر علينا «رودينا».

- اسمي «رونا» ماما.

لتكمل والدتها:

- علمت بأن لديه علاقات كثيرة مع الفتيات، يدير عملة الخاص بجوار دراسته معك في الجامعة، هي أعمال والده كما سمعت والذي لم يره أو يعرفه أحد مطلقاً، هم أناس غرباء بشدة «رونا»، يكتف حياتهم كثير من الغموض.

والدته لا تقابل أحداً ولا تختلط بأي من سيدات المجتمع، أيمكنك تفسير حبك لشخص كهذا «رونا»؟ حولك الكثيرون، فلم مجهول الأصل هذا!؟

- ماما، هو الآن مرتبط بي فقط، ثم إن قصته بالمختصر أنه يوماً تعب من الأيام، ملّ من زمن يحوي مصائب متتالية تحل عليه، تغتال بقلبه فرحة عين وشفتين، تسلب منه صفاء ونقاء كان يتمنى لقاءهما.

«حليمة»: دعك من فلسفاتك هذه «رونا».

«رونا»: ماما، هو شخص خارت قواه في مقاومة تقاليد بالية تحرمه من حب العمر، تؤلمه دوماً، وكأنما خُلق ليتجرَّع كؤوس الحرمان صباحاً ومساءً، تصدمه في أهل وأقارب وخلان، تسرق منه وردات وزهور ريعان شبابه لتلقيها على أرصفة حرمان وآهات؛ لذا اتخذ قراراً عقلياً بالتخلي عن إيمان موروث بقيم ومبادئ معروفة، أعلن للبشرية نبذه لما يُلقن من تعاليم تمارس دون عقل أو استيعاب.

«حليمة»: لذا قرر أن يكون ملحدًا؟!

«رونا»: هل تصلين أنتِ ماما؟! هل أصلي أنا و«لوي»؟! نحن متدينون اسمًا فقط، هو أيضًا قرر تنازله عن حياة يراها صمًا بلا منطق، واختيار حياة تحرر وحرية يحكمها عقله ولا أحد آخر سواه، قرر نبذ الدنيا والعيش داخل ذاته.

«حليمة»: «رونا» حبيبتى، كيف تحبين شخصًا كهذا؟ أجيبيني! لا أريد أن تمرى بتجربة فاشلة أخرى، عانيت

كثيرًا عندما أُصبتِ بانهيارٍ عسبي بسبب هذا الـ«شيكو»،
لا أريد أن تتعذبي بسببه، يمكنني قتله إذا آذاك بكلمة
حتى، تعلمين ما فعلته مع «شيكو».

«رونا»: أعتذر لتعب سيادتك معي سابقًا، ماما، بعيدة
جدًّا أنتِ عني لتُدركي ما أحب وأكره، أحبه، فأنا مثله وهو
مثلي، بيننا اختلافات تقربنا، ونقاط تقارب تثير ريبتنا،
تصريحات، تلميحات، وإيحاءات، أقاويل واستفزازات، فهو
مني وأنا منه، هو أنا بقوة رجل، وأنا هو بنعومة أنثى، هو
صاحب الكهف، وأنا مالكته، أنا أميرته الحالمة، وسط
أساطير سطوته وغاراته، هو سيد قلعتي، أنا صمام أمانه
وأسوار حمايته، حبيبته وشريكة حياته المقبلة، أعلنها بكل
شموخ وزهو: ماما، أحبه، وهو يُحبنى، أنا سيدة وحببية
قلب حبيبي «دار» فاطمئني..

أوه، نسيت إخبارك، هو أيضًا يملك إمبراطورية والده
ذات الأعمال المتشعبة التي تحكي عنها، ورثها عن والده
المتوفى، سيكون لكِ صهر يقويكِ وسط منافسيكِ،

ويساعدني في الوصول للسلطة التي أتمناها مثلك، كما
أني أحبه يعجبني تكوينه وأفكاره الغريبة.

احتارت والدتها ولم تدرِ بما تجيب؛ فليده مقومات
مهمة بمنظور عقلي للأمور، تركتها وانصرفت، علَّها تفعل
ما لم تستطع هي فعله عندما تزوجت والد «رونا»، وإذا
حدث ستؤمّن حقوق ابنتها في هذه الزيجة بشتى الطرق.

مشاكسات

- «ميلي»، استيقظي وإلا أغلقت الخط وقاطعتك
ثلاثة أيام، وأحرمك من خطاباتي المكتوبة لأجل حبيبك،
وقد أخبره أنني من كتبها نيابة عنك..

«ميلي»: حسناً، حسناً، أدلي بدلوك «رونا».

- اليوم بالجامعة رأيته، أهداني ابتسامات مليئة بفرح
وشقاوة رجل يجيد مغازلة الأنثى، غطّاني بعباءة سرد
تفاصيل وخبايا يومه ليثير في فضول القطة، شاكس
الأحاسيس المفعمة بحبه لينال الرضا وتاج عشقه الماسي،
فعل الكثير ليهج يومه، ليلاً أهديته قبلة سلام، لينام
بأحضان أحلامي كما القطة

«ميلي»: قُبلة! قُبلة! ماذا؟ أقبَلته يا ملعونة!؟

«رونا»: أهذا كل ما أثار انتباهك؟! لا اعلم لما أعلمك
بأسراري وأخباري!!

«ميلي»: أقبليته «رونا» صدقًا؟!!

«رونا»: يا غيبة الأغبياء، أقول لك: أحضان
أحلامي، بالتأكيد لم أفعل ولو أنني أتمنى هذا (قالتها
باسمة).

«ميلي»: ملعونة، أنت فتاة ملعونة، هيا أكلمي، فلقد
جذبت اهتمامي، وجعلتني أفيق.

«رونا»: حسنًا، قال لي أيضًا:

يا مليحة، للبشر في عشقهم مذاهب، وفي عشقك ذبت
وذابت معي المدامع، يا مليحة الخد، وهيفاء القد، ارحمي
من في محراب حبك راهب، من في قدس أقداس غرامك
متبتل، ألا في حلال ربك امنحيني دواء للجوى، بادليني
الهوى على ضفاف نهر شوقي المترف، يا مليحة، منك أنا
ملتاع مكتوٍ أطلب عشقك المرهف.

«ميلي»: بالتأكيد أجبته بكلمات كبيرة مثل تلك، أعرفك صديقتي ملكة الرومانسية.

«رونا»: هههه، نعم، نعم، نعم، قلت له: يا عاشقاً متغنياً بالمليحة وعشقها، أنا المليحة أبلغك تمكناك والهوى، معك وجدت ذاتي كما فراشات الغرام، كما ملكات الأساطير والآلهة العاشقة، بك بهاء قداستي، إليك نماء سطوتي، منك الحنان مرتعي، وفيك الوفاء مخدعي؛ لكن، كيف الوصول والالتقاء، والدرب كما الهدف مختلفان بيننا يا عاشقاً سابقاً في بحر الهوى؟! فسألني: من أنت؟

أجبته: سؤال لا يحتاج إلى إجابة، أنا أنت، فبعينيك رأيتني، وببيدك أمسكتني، بأنفاسك تعمقت فيّ؛ لذا تعرف أن ذاتي نابعة منك، كل منا بمكان لكن جمعنا زمان وإحساس واحد ولن يفرقنا إنسان إذا أردنا فعلياً هذا

أتعلمين «ميلي»؟ هناك من البشر من يكون لهم قوة حضور تغطي على الآخرين وحتى على غيابهم، لتستشعري وجودهم معك بكل جانب، مشاركتهم إياك كل

لحظّاتك، ليضيء توهجهم حتى غفوتك، وحببي سيد
الحضور وأستاذة؛ فحتى في غيابه بيننا دوماً لقاء.

آه، «ميلي»، نادي معي الدنيا..

«ميلي»: لِمَ؟! ناديها أنتِ، سأكمل نومي أيتها
المجنونة، سلام.

«رونا»: انتظري، أزيدك أني الآن أعشق الشتاء.

«ميلي»: بالتأكيد حبيبتني، الشتاء للعشاق دفاء، أنا
من ستادي الدنيا: يا دنيا هيا تعالي، احذفي الشتاء من
منهجك؛ فمن مثلي مفارق الحبيب ومن لا يملكون حبيباً لا
يرى له جدوى، شتاؤك للعشاق أمان ودفاء قلب بحضن
حبيب، وهو لفقراء العشق عذاب في سعي و صقيع، ولمن
هُجِرَ وفارق جحيم دون لهيب.

«رونا»: هل تركتِ «أمير» ثانية، أقصد عاشرة؟!!

«ميلي»: نعم، دومًا مشغول بصفقاته، يمنُّ عليَّ بالقليل الذي نتشارك فيه بعض اللحظات الحلوة.. أتعلمين «رونا»؟ قالت جدتي ضمن حكايا طفولتي: «الحب صغيرتي ينبت وسط أحرّاش المستحيل، يُسقى بدموع المحبين». ها هي قد دارت الأيام لأروي زهرة حبي، بدمع قلبي قبل عيني وما يكويني من أنين..

حذرت «أمير» من أني يوم أسرد حكايات حبه عليه أن يعلم أني بدأت تكفينه بين سطور كلماتي، فمَن أعشقه أهوى إخفاءه عن عيون الدنيا ونظرات الناس، أنا عاشقة لليل وأستاره في الحب، لكنه لم يصدقني!!؛ والآن جميع من نعرفهم يعلمون أني يومًا كنت أحبه وتركته لجفائه في حبي..

«رونا»: هيا «ميلي»، سلام، أكملني نومك، لا تتغصني عليَّ ليلتي الجميلة

«ميلي»: أنا نية، هيا سلام.

هدوء

في كافيتريا الجامعة جلسا منفردين بعيداً عن أصدقاء
«رونا»، يتجنبان نظراتهم المتابعة لمعرفة ما يدور بينهما؛
فالشائعات ملأت الجامعة أن الاثنتين عاشقان، اكتفيا
بتبادل النظرات، وبداخل عقليهما ألف سؤال وسؤال،
كلمات سابحة تتقلهما معاً إلى عالم الخيال.

همهمت «رونا» أخيراً: كُنْ صديقي الأقرب.

«دار»: لكنك حبيبتني «رونا»، كلانا يُدرك ما يعجبه
في الآخر، ولم يتمنَّ وصاله، نحن عاشقان بقرار قلب
وعقل.

ليسود الصمت من جديد.

* * *

سهرت «رونا» تتاجي القمر، فلم يعد بمقدورها مقاومة حبه المتذبذب بين قرب وبعد هذا:

- ويحك يا قمر! أتأمرت عليّ أنت والحبيب؟ أترسل أنت ونجومك صور الحبيب لأفكاري عامداً متعمداً؟

هل تجرأت عليّ أيضاً لتتركني أسرح معه بذهني أحدثه ويحدثني، أراه يتنفس ويخبرني رغم قسوة تعامله بأنه ما زال يحن لوجودي جواره؟ لم أرى طيفه الآن معي؟!

آه لو ألمسك الآن حبيبي، هل أخبرتك يا طيف حبيبي بأنني أشعر باشتهاء يأسرنا ويجذبنا لتتشابك خيوط حياتنا دوماً؟! «دار»، أراك تسحب بنعومة أطراف أشعة ذهبية تتطلق من داخل تجاويف قلبي إليك، تشبكها بخيوط قلبك الماسية وتعيد إصلاح ما أضعفته بيدي، يحيط بأهدابنا غمام تثيره نجوم وضءاءة، يثير اهتياجنا بعنف حُب كُبت يُضعفنا معاً، لتتشابك أيدينا وننسى واقعاً اخترناه بعقولنا لإرضاء الغير على حساب أنفسنا.

ننسى، نتغافل أن بأيدينا لفظنا حبًا قويًا واخترنا آخر
ضعيفًا، قررنا العيش بسلام مصطنع علنا نُرضي، لا أعلم
من، آه منك، أنفاسك عطر غاب عن لحظي لكن استعمر
روحي..

وجودك حبيبي حتى بخيالي مدد للنفس، داعم للروح،
يأسر آلامي ويخفيها، غرامك بالقلب دواء شافٍ لحل عُقد
تكوّنت من صراع دنيا وحياة.

ما زلت أنقاد خلفك أخطرُ متأثيةً، جواد بري يعشق
فرسًا عربيًا خلفه يسير بخطوات بطيئة، تتقلب نظراتي في
خيال سحب تتطوي على صورة عينيك تتظران بهيام
لروحي، لتعلو نفسي لآفاق عليا وتسبح في فلك حياتك
لتقدم حبًا وهوى بسخاء، آه منك يا سبب شجوني وشقائي،
لا تهتك سر غرامي رجاءً، توغر قلبي بعبادك لأزدي
حبي وأرتعش نفورًا مما يسكنني من عشق مجنون،
ويملؤني حياءً يُضرم في قلبي نارا لأضمر مقًا لكيانك
الخائن لحبي وحناني.

تتقلب صورتك في أجفاني ما بين طير للحب يغرد لي
وشخص ثقيل الوقع أتمنى منه خلاصًا وفكاكًا، أنتلبس
روحي حالة عشق في حضورك أم أني عن حق صرت
مجنونة هواك؟!!

عالم كثيف وكئيب من غابات البلوط يسجنني معك
ويخنقني، حبس لا أجد سلوى معه لتشعب دروبنا عبر
خيال مجنون يُحضرُك لعالمي في لحظات، تحضر
وتعيش في كنفِي، تُعالج روعي من رهبة وحدة قاتلة في
غيابك، خوفي من حب آخر قد يأخذني بعيدًا عنك
وأنساك.

أه يا ربي، ارزقني حجابًا عنه يفصلني، أرجو خلاصًا
من حب صار سبيلًا لعذاب، يا ربي، أرجو ضياعًا في
ذاتك يخلصني من آلامي وأوهامي لحب غافل لا أمل
لوجوده بدري، يا ربي، احمني من شر خيال يحبسني معه
ينسيني واقعًا معاشًا وسيعاش.

عتاب

في منتصف الحجرة، طاولة تشبه التابوت مبطنة بالحرير، وضع «دار» عرشاً ضخماً في الزاوية الشمالية لغرفته المصممة كما غرف ملوك العصر الفرعوني؛ فهو العاشق للتاريخ الفرعوني وبرايم عباقرة في العلم والفن والسحر، رُسم عليه من الخارج تمثالٌ يبدو من بعيد كما توت عنخ آمون، لكنه في الحقيقة يشبه «حيدر»، فلقد طلب من نحات فرنسي صنعه خصيصاً في إحدى زيارته الكثيرة لباريس، عاصمة الفن والجمال، قائم على قوائم منحوتة على هيئة عبيد راكعين.

خرج ليقف في شرفته يراقب القمر ولمعانه وتلألؤ النجوم ببهاء، ففيهما يرى وجه حبيبته «رونا» مضيئاً مبتسماً له، كان الغضب يمتلكه من نفسه؛ لذا عاتبها:

- لَمْ أفعل هذا وأنا من حاول الاقتراب منها؟! -

لَمَ الآنَ أبتعد؟! هل حقًا أخاف عليها مني!! ماذا أفعل؟ أريدها وأخاف عليها! لمح دفترًا صغيرًا على الطاولة، فجلس على طرف سريره المصمَّم على هيئة تابوت كبير مغطى من كل الأركان بحرير ومبطن جيدًا، أمسك بالقلم وبدأ يَخطُّ بدفتره مقلدًا «رونا»:

- أنتِ يا من لفن الاختفاء هاوية بمهارة، عاشقة للتخفي ومتيمة بالتتكّر وتصنع البراءة، يا من صمتها وراءه أبار حيرة، اشتعال غضب بغارة تسقيننا كؤوس مرارة، يا ممسكة لأطراف الكلام بتجبر عاشق غاضب، مستمتع برهافة فراقه، أدرك مدى غضبك لفراقي، يا من تُلقِي عليَّ الملام، هُلْمِي واحتضني معي الأحلام، اخنقي معي تلك الأوهام الجسام، انتزعي سرايين ظنوني الخبيثة.. اقتربي؛ فما بيننا لا يجوز معه الغياب وكل هذا العتاب.

أريد الحديث قليلًا معكِ، لا بل كثيرًا، فأنا أشتاق لهمس نبضاتك، بشدة أحتاج لتقديم تفسير ومبرر لغيابي ولصمتٍ يغلف كلماتي، فهلا تستوعبينني وصمت معاني وأحاسيسي؟! في أحيان كثيرة حبيبتني نحتاج لغريب يمضي

ويتركنا نحكي له، بعد أن يسأل عن أحوالنا، بعد أن نسرد له أحداثاً تضايقنا، حديث مع الذات كشف حقيقة آهات ومعاناة بأرواحنا، توضيح صامت لأسباب ضيق النفس وتيه خاطر والبال عمًا حولنا، حديث خطير ومهم، لكنه سرّي يدور حول ما يجول بأنفسنا، أنا أريدك أنت لا آخر غريبًا، أحتاجك يا أنت مخزنًا لأسراري، أنت من يجيد فن احتواء معاناتي، يخرجني من صمت آهاتي، يسرقني حتى من ذاتي ليريني عالم أحلامي الزاهي..

يا أنت يا مخفية بين قصصي ورواياتي، هلا اقتربت؟! أفتقدك، منك أنت قوتي وحناني، سهري ومجونتي، شقاوتي وهيامي، منك أنت أستمع عشقي وغرامي وحتى سلطات رجولتي، نوبات عنفي وجنونتي، توترات فرحي وجمودي، بك أنت أثبت وجودي.

حبيبتي، جليدي في بلاد عشقك سابح، فهل بشمس حبك أذوب بلا ألم، أحتمي من غدر أشعتها الصارخة؟ برودة عمر بأجزائي متشعبة، هيا بضياء هواك المسية، وأدخلي الدفء، احذري انهيار قلبي متألمًا، تيه عواطف

بحياتي متغلغلا، فائتِ بحنانك واسلبي الحياة، امنحي
الروح من النعيم فرصاً متتالية.

حبيبتي، على بقايا رماد آهاتي المشتعلة من عذابات
أعوام وأعوام مضت، نضج هواك بقلبي بتأنً، تنتشر أبخرة
عشقك بين سحب أيامي، تجلين لياليَّ بإشراقِ ثغركِ الباسم
وعينيكِ اللامعتين، تضيء حياتي بكِ ومعكِ، لكِ حضور
طاغٍ يطفئ نيران أشواق المحب وقت الغياب، لهيب
متصاعد يعقبه نور أخاذ، لهيب عينيكِ أشعل رماد قلبي.

«رونا»، أحبك.

* * *

في كافيهِ «ليالينا» تقابلا الساعة الواحدة؛ فـ«دار»
عاشق لسهر الليل و«رونا» شغوف بأستاره، المكان ساحر
يعتمد على إنارة من الليزر تتغيّر بين دقيقة وأخرى، في
الأركان هناك مباخر تشعرك بسحر أساطير بغداد،
والطاولات موزعة بطريقة تمنح الزائرين خصوصية تامة،

وصل «دار» فوجد «رونا» في انتظاره.. ابتسمت عندما
لمحته لتستقبله قائلة:

- كنت أظنك لا تريد الاقتراب مني هذه الأيام!! لم
دعوتني اليوم للسهر!؟

شعرت بأنها تطبّق مقولة «الأنثى دومًا مثيرة للنكد»،
لكنها لم تستطع الامتناع عن قول ما بداخلها لعلّها تُخرج
كل ما يضايقها منه من جرّاء تعذيبه لها هذه الأيام، ثم
تابعت:

- هيا «دار»، ما زلت أتساءل، لمّ كرهك لشخصي
المسكين إلى هذا الحد؟! لمّ أوهمتني وما زلت مصرّاً على
إيهامي بعشقك الغامر لوجودي؟! لمّ صرت مصدر وجعي
وأنيبي وأنت كنت وما زلت للقلب النبض!؟ أكاد أُجنُّ!

لمّ تحولت لنوبة قلبية مهداة بغلاف حريري الكلمات!؟
بتّ جلطة من حنين في منتصف القلب ملفوفة بمغازلات
لولبية لامعة أخّاذة للألباب!

رد «دار» عليها بهدوء: لا شيء مما تقولين صحيح

«رونا»: إذا ما الصحيح؟ صوّب لي أقوالي إذا!!

ظل صامتًا، فأكملت: لمَ حبك كره بهذا الشكل؟! لمَ
حُبكَ عقاب دنيوي غارقة فيه؟! أنصت وأجب، لمَ أنا من
سائر جنس حواء من اخترتها لتمارس عليها رجولتك
الزائفة؟! لمَ تخنقني بشرقيتك المتغترسة؟! ولمَ تظن أنني
جارتك الخانعة؟! أفق.. أفق يا هذا فأنا من جعلتك أنت.

«دار»: أمي من جعلني من أنا وليس أنتِ (قالها
مبتسمًا).

«رونا»: أنا من منحتك صولجان مملكة الخيال
والهيام، احترس، فبيدي سأطردك خارج أسوار العشق،
لتظل ذليلاً بطرقات الوجد، مشردًا بدُنيا الواقع والحياة.

ابتسم ببرود وأجابها: أنتِ، ملاكي وسمائي ومعك
الكون بركان من نور..

وحدة

اختفى «دار» ولم يذهب إلى الجامعة ثلاثة أيام، يشعر بالحيرة والخوف على «رونا» من قرينه وما سيجلبه عليها، لم يصل بعدُ إلى قرار حول كيفية استقبالها أسلوبه وحياته، ماذا سيفعل إذا رفضت؟ وإذا قبلت هل تتحملها أم لا؟! يعلم أنها بنسبة كبيرة ستوافق، فبداخلها رغبة جامحة في السلطة وتخطط لكيفية الوصول إليها، رغم البراءة الظاهرة على وجهها وأفعالها، هي أكثر من ستحقق ما يصبو إليه..

بمساعدهتها سيحكم العالم كما يتمنى، وتتمنى، فكر وفكر لساعات، لكنه لم يصل إلى حل حتى الآن، سحب ورقة بيضاء من على مكتبه وظل يرسم أشكالاً عجيبة، انتبه إلى ما يفعل فجأة، ابتسم كالعادة يُقلد «رونا».

* * *

تعبت «رونا» من إحساس الوحدة باقتراب وابتعاد
«دار» المتواترين، لا تدري ما يحدث ولا لماذا! جلست
لتكتب ما يُعبرُ عمًا يُقلِّقها كما اعتادت منذ سنوات، فتحت
دفترها وبدأت:

«ندعي الفضل على أحببتنا والكرم منهم، ونسعى إلى
الهدوء بتصدير الفوضى لأيامهم، نثير المشاكل عليهم
يلتفتون وبنا يهتمون، فلا نحن انتقمنا بفوزنا بتركيزهم؛ ولا
هم أدركوا حينا لهم بجنون، فلتلغناك شياطين الإنس والجن،
وتدعو لك ملائكة السماء، يا من تهوى تعذيبي وفرض
سطوة رجولتك بغباء، آه لو طردتك العفاريت السفلية لدنيانا
كعقاب، وحبستك حوريات الجنة بمخيلتي، حتى يجمعنا
فناء ولقاء.

آه منه حبيبي، لم رائحة تبغته تحيطني من كل جانب،
عطره يسحبني لدنياه ويحاصرني، أنفاسه معشقة داخلي،
صوته، همساته، ونسمات عبيره تداعب أنفي؟! صورته
تتاغش عيني، طيفه يلعب مخيلتي ويثير أفكارني، يسرق
خيالاتي لتسبح في مجراه الملاحني، تغوص وسط مراكبه

وسفن خياله الماسية، لكنه يبقى عني غائبًا وبعيدًا، أذهب إليه وأستفسر، فيقول إنه ترك الدنيا وابتعد نظرًا لكآبته، ويأني لست المقصودة بغيابه، ويأنه من أجلي و فقط، من أجلي يفتح وسائل اتصالاته، الآن هو مع الكل إلا أنا، كنت أعلم - من قبل سؤاله وعتابه - أنه سيقول بأنه يضحى ويفعل هذا من أجلي».

رأت طيفه واقفًا أمامها فخاطبته: آه منك، أتري ما فعله بي غيابك؟ صرت أراك كأنك معي لأحدث طيفك عن قسوتك وجفائك، وعادت تُكمل: اسمعني حبيبي، سحقًا، سحقًا، إنني أكره أجلي هذا، فأنا أعتقد أنه لي فيك شريك حبيبي.

آه لو رأيتك الآن «دار» لخفتك بالتأكيد، أعتقد أنني لعبة لتظهر وتختفي كيفما شئت؟! لست بلعبة، وإياك وتخيّل أنني لعبة لك مركونة على رف حياتك، وقت حاجتك تأتي تعبت وتلعب معها، ثم تتركها لتصدأ ويأكلها تراب الدنيا أكلاً بغيابك، إياك وإياك، فاللعبة قد باتت أنثى، امرأة واعية، بسببك.

ما عدت ساذجة وبريئة لأُصف برفاً دون روية، لست
جماداً وصخرًا صلداً لترميته دون عناية، لديّ أحلام
ومشاعر وطموح كبير لتبليهم، لي روح وكيان يحتاجان
لإشباع كغيرهما، إن كنت غير قادر على إرضائي
فانسنني، وابحث على رفوفك عن لعبة قد تماثلني، ما عدت
أسيرة أنتظر فتح ستارك لأراك، تحية وسلام يا حب العمر
وأراك يوم ألقاك.

«دار»: لا أقدر (اقترب منها ليقبّلها بهدوء).

«رونا»: أشعر بقبلك كأنها حقيقية، كيف هذا؟!

- اقتربي أكثر «رونا».

- أعشّقك «دار».

لتذوب في أحضانه، ناسية الكون كله، استيقظت
صباحًا وهو ليس بجوارها، لتجننها الفكرة، ملابسها المبعثرة
على الأرض توحي بأنه لم يكن مجرد حلم لذيذ..

لكن كيف؟

هل تتوهم أنه حلم؟!

إن كان حقاً فكيف وصل إليها «دار»؟!

عقاب من جديد

أخذ «دار» قراره وعاد إلى الجامعة، رآته «رونا» فذهبت مسرعة تجاهه، لكنه ابتعد عندما رآها، ذهب متحججاً بأنه نسي تذكير والدته بأمر ما، ذهب متشاغلاً بهاتفه، لكن «رونا» أسرع وأوقفته..

«رونا» هامسة: حبيبي.

يتلامز الخبثاء فيما بينهم عني وعنك، قالوا إنك هائم
ببحار العشق ودربي، تُغني صحواً ومناماً وتتاديني، تُتاجي
قريني، ذائب بصفاء هواي، عاشق للحظي، تشتهي القرب
ووصلني، شغوف بتفاصيل سكناتي، متيم بصوت همساتي،
سحور بأناتي، ضائع بين تنهدات أنفاسي، موغل في
سماء حبي، قالوا ملكتك وصرت في العشق طفلي، صممتا
يفوح بروائح عشقتنا، وفيما بيننا سراديب تخفي أسرارنا،
صناديق معتق بها دموع آهاتنا، طفلي المدلل..

حتى أنت تُخبرني أنك حب وقد ذبت بحبي، عشق
وسقطت ببخاري، دنيا وهديتتي، فرح وغطيتتي؛ لذا تتمنى
حبي، عشقي، قلبي، أتمنى أن أكون زوجتك أمام العلقن،
دوماً تُهددني بغيابك هذا أنك مع الوقت ستضيع،
ستجعلني أسهر أشكو مما سيحدث بحياتي بسببك،
تُسمعي جملاً قاتلة مثل «غيرك بطريقتك هذه ستكون
معي»، تُهديني هجرًا، آه منه يا قلبي، يُبكي لي ليلي.

«دار»: طفلتني، في خيالي أبُّك أشواقِي، جنون حبي
وهيامي، أُجسِّدُ لتستمعي لشكواي وشدو غرامي، منك
إليك، تعلمين أني أحبك، أعشقتك، أتمناك، وأحتاجك
بجواري، فأنت وحدك شريكة يومي وليلي، لسهري قرين
أتمنى وصالك، نقطة ارتكازي، غرامي، حبي، هيامي،
قلبي، عشقي، سكني، أنتِ تكفيني.

سري الصغير والكبير أنتِ، أُوخِّفِكِ رغم علمهم بنا،
بحبك الشامل لخبائيا الكون تحميني، ببسمة شفاكِ تسرقيني
من نظرات بشر يغتابون مشاعرنا.

«رونا»: طفلي العزيز، لست بملاك وقد تعبت، خيالي يحدثني بأن أتركك وأنطلق، أذهب إلى السباحة في بحر ملذات؛ حرمت منها دون ذنب صنعتة يدي.

تشتهي نفسي عالمًا مغربيًا موازيًا لعالمنا هذا، يطلب كل ما في حياة بها شموع لامعة، عطور فواحة، أزياء فاخرة من أشهر بيوت الأزياء، أحذية بماركات عالمية، شهرة وسهر بحفلات ماجنة، أكلات صنعت خصيصًا لأجلي، حلوى شهية سويسرية.

حبي، لا تعطني فرصة خيانتك بيُعدك عني، بانقطاع حبال تربطنا روحيًا، لا تدعني لجنوني يسرقني، تعلم بما أعيشه من مغريات حياتية، فلا تسمح لها بأسري، معذبة روحي بتناقضات أرغب بها، مشتتة نفسي من أفكار تبدو شيطانية، ضائعة بين حياة هادئة ناعمة معك وحياة صاخبة مثيرة مع غيرك.

الحب متاح هنا وهناك، كفتنا ميزان أتأرجح بينهما، فأنقذني واسحب يدي بنعومة لعالمك، ولا تجعلني أسقط

بعالمهم العامر بأشهى المسرات، فأنت رجل يجيد الاحتفال
بوجودي عندما يريد.

«دار»: سأتركك تأخذين قرارك بهدوء، سلام.

* * *

كان «دار» مغتاضاً من إخبار «رونا» له بتهامس
زملاء الدراسة عنهما، ومحاولاتها إثارة غيرته، صحيح
حدث بينهما الكثير آخر ليلة زارها، لكنه ليس بالأمر
الكبير لـ«رونا»، هناك من سبق واستولى على حصنها،
قرر في النهاية أن يكتب كلمات قليلة وذهب ليمنحها
إياها، حاول جعلها موجعة علّها تتبعد عنه وتتجو مما
سيحدث لها إذا بقيت معه كفرصة أخيرة كي لا تندم
مستقبلاً:

- «رونا»، تربينا على الفضيلة وحسن السمع قبل
الكلام، زرع بنا الزمن الحكمة في مواجهة العوام؛ لذا نملك

من الحنكة ما يكفيننا شر اللئام، للبشر خالطنا وما عاب
علينا إلا الهوام، فلا تظني حبيبي كرم الأخلاق بنا هواناً.

لا تتوهمي لأننا نغض الجفون أننا عميان، فاحذري
تقلب ليث لمواجهة ثغاء الخرفان، اتقي شر الحليم ولا تلقى
بتهم وبهتان، أعلمك الآن عدم تمكني من حبك، ولديّ
الكثير من الأسباب، فابتعدي وانسي ما كان، عدم
مراعاتك لآلامي يقتلني، كنتِ الوحيدة التي تفهمني!!

ما بالك الآن أكثر من يؤلمني! إذا كان حبك حقاً
حقيقة فلم بينا ألف عقدة تسعى مع عقد أخرى يصاحبها
تتهيدات مؤلمة!؟

خبأت «رونا» ورقته بين طيات كتبها، وسرحت
بعالمها تخاطبه وتلومه: حبيبي صارت كوابيسي معك
سيدة الموقف، فهل تفهمني؟! أهي ملامح النهاية تُرسم، أم
أنك لأحزاني تُسلمني!؟

لا تخلط كلمات الحب بكلمات مؤنبة؛ فقد بات جلياً
أنك تنوي وداعي، لا تقلق، اعتدت هذا الهذيان، انتهى
الأمر، فلشأني اتركني.

ترك «دار» مقعده وجلس بجوارها، ألقى على سمعها
العاشق لهمسه: اسمعي همسات حبيبك بقلبك، جرحي
بالإضافة إلى جرحك شكلاً شبكة خنقت قلوبنا بعتاب
وملام، سأتركك وستتركينني حبيبتني، إذا ظللنا خلف
الأوهام، أحبك وأخاف عليك، فاستوعي حالي ولا تلقني
المزيد من الملام.

نظرت إليه «رونا» مبتسمة قائلة: لا داعي للبعداد،
أحبك مهما كنت، ومهما كان، أحبك حتى إن كنت تظن
نفسك شيطاني، يا من بصحوي ومنامي، تملك واقعي
وأحلامي، أعلمك سيدي باهتمامي، واستمرار غرامي
وهيامي، ما زلت سري الحنون، منجم عشقي وأماني،
أهديك حروفي وكلماتي وألحاني وجمال حياتي.

تجربة الموت

تقدّم «دار» من «رونا» أثناء المحاضرة، طلب منها الخروج معًا، وافقت واتفقا على المكان والموعّد، خافت إخبار «ميلي»، وخبّأت سعادتها بقلبها، لتعيش مع جمرات نار تنتشر داخلها انتظارًا لمرور الوقت حتى يحين موعدهما.

دخلت الكافية المتّفق عليه، رأته يجلس أمام إحدى الطاولات، لوّحت له فأشار بما يعني: هيا، هلمي.. أنتظرك. جلست هادئة أمامه كما قطة ودیعة، منتظرة أن يبدأ هو الحديث، ظلا على هذا الحال قرابة نصف الساعة، ثم تبادلوا كلمات قصيرة، وساد صمت غريب مرة أخرى، بالإضافة إلى برودة عشّشت بينهما، قالت لتتھی الصمت المعتاد في لقاءتهما هذه الأيام:

- الموت شعور رائع إذا نظرنا إليه كتجربة مجردة،
أتمنى خوض غمارها ثم النجاة منها لأعود لهذه الحياة
المقفرة من جديد، أنظر إليها كأعادة بلورة للأفكار
والمشاعر والنظرة الكاملة للحياة، سمعت كثيراً عمَّن
انفصلوا عن عالمنا ليمروا ببرزخ الموت ثم يُسحبون لهذه
الحياة من جديد.

«دار»: ماذا تقولين؟! هل عدتِ إلى التفلسف من
جديد؟!

«رونا»: «دار»، هي فرصة من رب العباد لإعادة
تشكيل الإنسان ككائن حي هو وأفكاره، موت قريب أو
حبيب يؤثر فيمن يحيط به، أيًّا ما كان شكل علاقتهم؛ فما
بالك إذا جربته شخصياً؟! ذهول من عالم لم تر منه إلا
لمحات لتعود لعالم سقيم تصلح ما فات أو تفيد وتستفيد
مما قد فات وما هو آت.

أتعلم؟!

جرّيت يوماً شعور الوقوف على أعتاب الموت لكني لم أقف إلا للحظات، يومها أثر ذلك في تكويني كثيراً رغم قلة زمنه، وغير من نظرتي للكثير والكثير من الأشياء.

«دار»: تبدين غريبة ومخيفة اليوم!!

«رونا»: ترى ماذا سيحدث إذا مررت بالتجربة كاملة؟ هل سأبقى كما أنا؟! أي تغير سيحدث لي وفي؟! متشوقة كثيراً لأستشعر مذاقه، أعشق فكرة تجربة هذا الشعور والمرور به وأتمناه قريباً، فهو هدية من السماء لمن يختاره من بني الإنسان.

يا ترى ماذا سأرى؟! كيف سيكون شعوري؟! ما حالتي وقتها وبعدها؟! أسئلة كثيرة تُثيرني لمجرد تذكر الفكرة أو التفكير بها.

«دار»: أستغرب كلامك هذا «رونا»، هل حدثك أحدٌ في أمر يورقك؟ أيضاًيك أمر ما؟ هل أخبرك أحد شيئاً عني أزعجك؟! لم لا تجيبيني؟!

«رونا»: لا «دار»، لكن شعرت أنه عليّ إخبارك هذا..

- هيا تعالي معي.

سحبها دون أن ينتظر ردها، ركبا سيارته الفيراري وانطلق كما لو كان يسابق في مضمار دولي للقيادة السريعة، ذهب إلى مكانه المعتاد أعلى قمة جبل المقطم، طلب منها النزول، ليشاهدها الكون ليلاً.

وقف خلفها وضمها بين ذراعيه، رأت «رونا» السماء صافية، النجوم سراجاً منيراً، الليل هادئاً، لكنها تعاني صعوبة التركيز؛ فرائحة عطر «دار»، الشانيل، تُثيرها، تحرك فيها الشهوة والشغف للاستسلام له، لكنها سيطرت على مشاعرها بقوة رهيبية.

أخرجها صوت «دار» من أفكارها فيه:

- «رونا»، هذه البقعة هي مكاني المفضل، خاصة بعد أن رأيتك أول مرة عقب سهرة قضيتها هنا.

كانت ليلة شتوية، راقبتك وأنت تُشاهدين المطر،
تبتسمين وتنتظرين للسماء كما لو كنتِ ملاكًا هبط من
الفردوس، شعرت وقتها أنكِ جائزتي، حبي وعشقي؛ لذا
سعيت خلفك، أتعلمين؟ يومها تبعتك بسيارتي وراقبتك حتى
دخلتِ غرفتك.

«رونا»: إذاً هو عشق منذ النظرة الأولى، انتظر،
ماذا؟ غرفتي؟ كيف؟

«دار»: «رونا»، دعينا من هذه التفاصيل، من
مميزاتي: أن لا شيء يمنعني عمّا أريد، ومنذ أول نظرة
صرتِ من أملاك قلبي غالبتي.

«رونا»: لذا انضمت للجامعة، يا لك من ماكر،
«دار»، أنت عطر أنفاسي، نبض قلبي، دقات الثائرة
روحي، هدوء أحلامي، هيام خيالي، ذوبان قبلاتي وسط
انهيار سحبي وأمطاري ببحار همساتك، والخفيضة
مغازلاتك لأوتاري، أنت الموت المشتهى، محاصرة بجدران
أحضانك في العتيق كهفك، لأصارع شهيق وزفير أناتي.

«دار»: أتعلمين معنى ما تقولين؟! الأمر ليس بالهين
«رونا»، فكري جيدًا.

نظرت إليه ساهمة ولم تُحب، فما زالت لا تستوعب
معنى كلمات كثيرة ينطقها، سمع أفكارها..

- بعد سنين كثيرة مضت، أو بالأحرى بعد سنين
شكلتني كإنسانة، هاهي تتاديني أفكار مختلفة غريبة عن
عالمي المغلق، كل فكرة تحوي شعابًا قاتلة، تدور بي كما
التائهة في بحر الغاز، كنملة تستجدي الرزق في غابات
الأمازون. بعد ليالي تفكير عقيم، لم يتمخض عن أي
وليد، أدركت كم كنت بكماء وسط صخب حياة البشر، كم
أنا عمياء رغم سلامة نظر برأي الحكماء، كم هي رتيبة
أفكاري رغم جنون ومجون يعشقني وأعشقه..

ما زلت أتساءل:

من أنا؟!!

لِمَ أنا هنا؟!!

لِمَ الآن؟!!

لَمَ أنا بالذات مَن فُتحت لها الأبواب لتمر بهذه التجربة، لأصارع أفكارًا وديانات وعقائد؟

لم يدرِ كيف يُخرجها من أفكارها، فسمح أيضًا داخل أفكاره القلقة على «رونا» من حبه:

أخاف عليك، فشخصيتك تتميز ببراعة، ستسقطك، ستغتنال أحلامك، ستقضي على آخر طوق نجاة تتشبهين به، ستقتل أملاً تعيشين عليه لتتالي بعضًا من حرية تطوقين إلى نيلها معي، لا تدركين أن لكل شيء ثمنًا، وثمان انطلاقك وحريرتك المتخطية لأي حدود سيكلفك الكثير.

فهل أنتِ على استعداد لتقبل دفعه؟!!

تلك المبادئ والقواعد التي تسيرين عليها كبيتٍ سُجنتِ بداخله أفكارك وهمسات إبداعك لتتحكمي في كل سبل خروجها وظهورها للعلن، كل ذلك هو ثالوث يُعلن انتهاءك

قبل الانطلاق والولادة بعالم الحياة معي، أو هكذا أخاف
أن تكوني.

* * *

في اليوم التالي مرت «رونا» على «دار» في قصره
قبل الموعد المتفق عليه كي يخرجنا معًا لشدة تلهفها للقائه،
كان باب القصر مفتوحًا فدخلت لتفاجأ به واقفًا في
منتصف البهو يشرب من كأس تبدو غريبة، فهي تترك أثرًا
على شفثيه كما لو كان يشرب دماء.

تسمرت في مكانها، لا تعرف لِمَ شكت أنه يتجرع دماء
لا مشروبًا آخر!! رأته عينيهِ زمردتين أرجوانيتين، خديه
ياقوتًا أحمر قاني اللون، شفثيه كما لوحة زيتية صُبغت
باللون الأحمر، رأسه كما لو كان شعلة من نار شديدة
الانتقاد، يرتشفبتانٌ كأمر تُوَجَّ على عرش الأرض من
كأس كريستال على هيئة محارة مفتوحة.

فجأة..

بدأت تشعر بخدر عجيب، نملت أطرافها، وشعرت كما لو أن مشاعرها هي مشاعر «دار»؛ توحدت معه كما لو أن روحها خرجت منها وانتقلت إليه، شعرت أن عينيه وشفتيه وحتى إشارات جسده تضج بالشهوة، وهي مثله، تبادلته الرغبة رغبة أقوى..

لا.. فسرت الأمر خطأ، ما يتملّكها هو شهوة.. للدماء.

ياالجحيم!

ضبطت نفسها تتلذذ معه بمذاق الدماء ورائحتها، ما جعلها تخاف بشدة، بل ترتعب؛ فتوحدها معه روحياً في المشاعر واللذة المطلقة، جعلها تلمس الدماء على شفتيها هي، تستشعر مذاق الدماء بفمها، تستمتع بتلك القطرات على لسانها، تشبعت بـ«دار» ومشاعره كما لو كانت هي من ترتشف تلك القطرات.

أسرعت بالفرار بعيداً، لكنها هربت بالجسد وبقيت
الروح هائمة في ملكوت «دار» ومشاعره، كل ما فيها كان
أسير شهوته..

بل شهوتها هي أيضاً لفعل مثل ما يفعل، أدركت أنها
أيضاً لا تجد أي مانع للسقوط بين برائته أيّما ما كانت
عواقب الأمر، اشتهد التوحد معه روحاً وجسداً، التمتع به
وبالدماغ.

لكن لحظة..

ليست أي دماغ، لِمَ يركز مخها على شكل عنق
«دار»!؟

ياللبؤس!

باتت متأكدة الآن أنها تشتهي دماغ «دار» ذاته، تحوّل
بنظرها لفريسة وهي الصياد، وليس العكس..

فرت..

حمدًا لله أنه لم يعلم ما تفكر فيه..

لم تستوعب كيف يكون بداخلها مثل تلك المشاعر!
صُدمت مما اكتشفته ووجدته بداخلها من رغبات مكبوتة
شريرة.

اعتقد «دار» أنها خائفة منه، لذا فرت، في غمضة
عين لحقها، اقترب متوددًا قائلاً:

- سأشرح لك كل شيء، عديني فقط ألا تتسرعني في
الحكم عليّ، تعلمين أنني أسكن مع أمي، هي ليست أمي
فعلياً، لكنها من احتضنتني؛ فأنا نسل والد هُجن من أنثى
عادية لُقحت ببويضات مصاص دماء ومن أبي لُقحت
أخرى؛ لذا فأنا، أنا.. أقصد.

قرأتِ أنتِ تلكِ..

هذه الأساطير المنسوجة عنا..

أنا، «رونا» أنا..

أنا مصاص دماء.. أنا..

«رونا»: مصاص دماء!

نطقها ممزوجةً بابتسامة بلهاء.



مكاشفة

أجلسها على مقعد قريب، ظلت صامتة لدقائق ثم
أكملت: كنت أعتقد أنكم نسج من خيال الأفلام والروايات،
لستم واقعًا وحقيقة، لا أعلم ما أفكر به.

وقفت فزعة، تبعد يده عنها..

دعني الآن، أريد الانصراف.

قالتها بصوت مرتعش، وهي تنظر إليه بريية وكأنها
تشك بسماحه لها بالهروب.

أدرك «دار» أنها مرعوبة منه؛ فإجابتها تتسم بالبلاهة،
وحديثها مشوش..

- حسنًا «رونا»، هذا هو ما كنت أخفيه، ما يجعلني
دومًا مذبذبًا بين الاقتراب منك والاختفاء، لعلّي أستطيع

نسيان حبك، لكنني دومًا لا أستطيع مقاومة نظرتك وأعود إليك من جديد أكثر عشقًا من ذي قبل.

هنا ضحكت بشدة وبصوت صاخب قائلة: لقد أخبرت «ميلي» أنني أريد مقابلة دراكولا، لكنني لم أظن أنني سأقابله فعليًا، أيمنكك تحويلي؟! هيا، هيا اقترب، هاك عنقي، عضني هنا، حوّلني لخالدة مثلك، هل الأمر مؤلم؟ لا يهم، لا يهم..

صمتت لثوانٍ ثم أكملت: بالتأكيد الألم مؤقت، هيا أتم الأمر، ماذا يمنعك «دار»؟!

- «رونا»، الأمر ليس بالهين، هو مُرهق ومُتعب، ستخسرين الكثير، وأهمه: بشريتك، علاقاتك، أهلك، فكّري جيدًا بالأمر، إذا ظللتِ على رأيك يسعدني أن تكوني شريكة خلودي حبيبتي، هيا، سأصطحبك لمنزلك الآن.

رغم فرحتها باكتشاف حقيقة «دار» عاشقها، ورغم موافقتها على طلبه التفكير بالأمر، فإنها لا تعلم لِمَ أصبحت مشاعرها مذبذبة وكأنها تخافه فجأة!!

لم تحاول الاتصال به بعدها أو مقابلته لعدة أيام، حاول التقرب منها وجعلها تستوعب ما حدث وسيحدث، لكنها تشعر بشيء غريب يفصل روحها عنه، رغم استمرار إعجابها بتحولها إلى مصاصة دماء.

استمر «دار» في محاولاته للحفاظ عليها، اكتشف أنه لم يعد قادرًا على خسارتها مهما كلفه الأمر..

«رونا»: جاء بعد غياب ليهمس بغرام: تعالي إليّ، المسيني بدفء نظراتك القاتلة، اقتربي وضميني بهمس صوتك الشهوي، قال: آه منك، صحاري الدنيا بوجودك حبيبتي بحار حنان، غرامك فجر هلّ على عمري أشبعني هيامًا، غيابك أطلقني في الدنيا عابر سبيلٍ جوالاً دون دليل، سائحًا ببلاد الله دون رفيق أو درب عليه أسير، قريبي وأنسيني غربتي وسط بشر حضورهم غياب حبيبتني.

وبكل برود بعدت وتركته وحيداً وسط الآمه، ليظن أنني قد نسيت حبه، ليعتقد أنني رميت غرامه أميالاً بعيدة عن

قلبي وروحي، قد أحتمل نظرات عتابه، لكني لم أقدر على احتمال عذابه بقرب يؤذيه وسط أفكاري المتخبطة، أعتقد أنه صدق تمثيلي وخداعي أنني أبغضه، لم يدرك أن بُعدي عنه وفراقه يقتلاني، وأن خلف عقلي هذا تختبئ شباك ومصائد جنون تخطفني إليه، عشق ولهيب يأسران هدوء مشاعري ليشكلاني معه كائنًا واحدًا رغم جراحننا..

نيران تحرق برودة أعصابي وقلب يصطنع الجمود، حب وذوبان بداخل أحاسيسي هما عندي عشق كامن، انصهار ببوتقة حبيبي، فناء بذرات الكون لمجرد نظرة منه، ضياع وهيام في غرام قاتل لما سواه، ماذا أفعل؟! عشقنا سفاحًا باردًا يهوى سفك دماننا على طرقات الدنيا دون ضمير، هو حب متخفٌ بضياء نجوم تلمع في سماء الحب، دخل قلوبنا بهدوء وسلاسة، ثم، وفي لحظة، حب صرعنا دون هوادة.

أه من قلب يشغلنا ويتركنا لبرودة وحدة وسط الأحباب، حضور رغم غياب، حب كالغول متكرر في زي هوى

ليسرق فرحة عمر من قلب العشاق، عفريت مشاكس يهوى
اللعب بقلب محبه.

حبيبي، ما زلت تستعمر القلب والروح، بقلبي لك
مستوطنات غرام، هواك عقل خاص بعمرى يمنحني
أسلوب حياة، غرامك دنيا وحياة، سر لصمودي، يقويني
لمواجهة أشباح وظنون تؤرق حياتي الفانية، حبك يدفى
ويطمئن قلبي رغم فراقنا، لأدعو ربي يلهمنا صبرًا ورحمة
تقويننا في مواجهة الأيام، أدعوه ليرزقنا غفرانًا وعفوًا
يُسكنان أنين ليل في الغربة يعذبنا.

أحبك وأعشقك حبيبي، لكن كُتب علينا عذابٌ نعيشه
ونتعايش مع خطواته رغم آلامه ونغزات أوجاعه، حبيبي،
لاح فجر شمس الحب علينا يومًا، والآن، أتى غروب
شمس الحب، فلقد مر وانتهى يومنا، فلنحاول أن نعيش
يومًا جديدًا ببزوغ فجر يلوح لنا من جديد بالجديد.

* * *

- تعجبني كلماتك (مشيرًا لدفتر خواتمها).

فزعت «رونا» لرؤيته بغرفتها:

- أه منك، تتلصص عليّ! هيا اخرج (قالتها غاضبة منه).

- أحبك «رونا»، لا أستطيع الابتعاد عنك أكثر من هذا، ألسيت معي أن أسبوعًا كثيرًا جدًا علينا هكذا، وأنا من اعتدت قريك طيلة اليوم؟!

- «دار»، هذا ليس مبررًا لتلصصك عليّ.

«دار»: تلصص!!

إذا أنا المقصود بخاطرتك الأخيرة، وأنا من ظننتها مجرد خيال شاعرة، تلك المكتوب فيها:

- يا من تُعلن للدنيا غرامك وهواك وجفائي، حنينك وقسوتي، حنانك وهيامك وغبائي، أتعقد أنني كنت لأفعل

هذا لو لم أكن أحبك؟ هل كنت لأعتب وأقسو وأجافيك؟
قلبي وروحي يسبحان بسمائك!!

أسعيد أنت بأقاويل الناس وأحكامهم عنك وعني،
بأحاديث ثرثرة تلوك سيرتك وعرضي، باستهزائهم مما بيننا
ليلوموا غبائي وعنادي؟ أيعجبك تلصصك بخبل وهوس
على حياتي، سرقة أفكاري وهناء بالي وصفائي، إقلاق
مضجعي بوسوستك لأحلامي؟

أنت تقاضيني وتصدر أحكاماً بناءً على ماذا؟ أعلى
إحساس مجهول تملكك، أم وهم سطر أحرفه بخيالك
وكتاباتك؟ هل لأنك تصورت حبي افترضت قبولي حبك؛
لذا تحاسبني وتقاضيني؟!

ثم أكمل «دار»: إذا أنت لا تحبينني؟!

«رونا»: من قال هذا؟! أتريد رمي بأني اتهم لتثير
غضبي؟!

- ألم تكتبي: هل لأنك تصورت حبي افترضت قبولي
حبك؟!

«رونا»: آه، إنه مجرد تعبير مجازي «دار».

«دار»: أتمنى هذا.

صمت قليلاً ثم قال لها:

- ولو أنني أعلم مدى عشقك لي حبيبتني؛ فأنت
كونتيستي الغالية..

أنا شيطان مارق من جنة هجرك..

لأنال نصيباً كبيراً من أنهار غرامك..

جنٌّ من بنور هارب من نعيم بعادك..

لأرتشف بتمهل مياه وسحب جمالك..

وُلدت بأرض الجحيم ليفتتني عشقك..

فأنا كافر بنبوءات الشعوذة لأجلك ..

لأصل أغادير حبك وأشعل قناديلك ..

* * *

ابتسمت له، فقال لها:

- سأكتب لكِ خاطرة، أنا أيضاً كاتب رائع، أعطيني فقط فرصة وإلهاماً، وبما أنك الإلهام فامنحيني فقط فرصة ..

ضحكت بصوت عالٍ، وانحنت له قائلة:

- تفضل سيدي الكونت، معك الفرصة والإلهام ..

سحب دفترها وأمسك بالقلم وكتب لها:

تعلمين أنكِ في فلكي تدورين، وبأشعة قلبي تعيشين، لوجودي دوماً تتسولين، فلا تتكري أنكِ لي من المدمنين،

على قلبي تتمنين لو تستولين، ولابتسامه رضا تتوقين
وتتوسلين، لكن حُبِّكَ استفزاني، وهذه مُشكلة السنين، أنا
شخص مسرحي لا أحب الحب المستكين، أتدريين ما
الاستكانة؟

هي تمكن العنف البشري مني ليكون في حياتي من
الساكنين، يموت كثيرون بحياتي، وأعيش لأعاني برودة
وحدتي والأنين، هم اختاروا فراقني وأنا غرقت بأهاتي
وببحار الحنين، كما أن غيابك مؤلم وخصامك مُر ومرار
كحد السكين، لكنها أزمة ثقة لا أزمة حب ما نمر به
حبيبتني.

لم تستوعبي كلماتي المُعلنة لنبضاتي!! فكيف
ستفهميني أنا؟! نظراً لتكرار غيابك، سأعاقبك بسحب
ظلالتي من فراش أحلامك، وسأخلي بساط خيالاتك،
فليشاركك غيري إياه، ولتختاري نعيماً آخر علّه يرضيكِ
ويُشبعكِ، لتبعدي أنتِ وأمانك عن نيران عشقي وجنوني.

«رونا»: هل أهون عليك لتعاقبني بسحب طيفك مني؟! (قالتها بدلال زائد مقتربة من وجهه لتداعب شعيرات ذقنه شديدة القصر).

«دار»: بالتأكيد حبيبي، الإجابة:

«رونا»: هاه؟

«دار»: لا، لا أستطيع.

«رونا»: مغرور (ضاحكة ببراءة).

- مغرور بحبك كونتيستي (قَبَّلَ أناملها ناظرًا لعينيها بشغف)، ثم أكمل: سأتركك لتنامي، أراك غدًا صباحًا..

- ماذا؟ هل تنام؟!!

- لا، سأراقبك، لكنك ستنامين، نومًا هنيئًا كونتيستي.

تقارب

على غير عادة «دار» وجدته «رونا» ينتظر أمام باب فيلتها، فتح باب السيارة وجلس جوارها قائلاً:

- أيها السائق، أوصِلني إلى «AUC».

ابتسمت ابتسامة عريضة، قبّلت خده الأيسر ثم قالت له:

- حاضر يا أفندم، أين سيارتك؟!

- لا أحتاجها.

* * *

«رونا»: ما مصيرنا معاً «دار»؟! هل مستقبلنا معاً؟

«دار»: مستقبلنا معًا، لكن ما معنى «مصير»
بتفسيرك؟!

«رونا»: المصير كلمة كبيرة جدًّا، بمعنى أعم وأشمل.

شيء كما بحر هادئة هائجة أمواجه نسبح به.

ما سبيلنا معه؟ كيف ننجو منه؟

أهناك بالفعل سبيل لنجاة مما سطره لنا؟

قَدْرٌ هو أم طريق نخطه يوميًّا بأيدينا؟!

ما نفعه بتصرفاتنا وسلوكياتنا اليومية..

هو بذرة زُرعت، لثُرْوَى بمعتقداتنا ومبادئنا..

وما ننفذه فعليًّا لنتمو وتزدهر.

«دار»: فقط؟!

«رونا»: لا، ما زلت أكمل، هو طريق شائكة جنباته،
مؤلمة أحداثه، تعطره أحياناً روائح غثيان الدماء، لكن
أيضاً أجواءه مليئة بذرات اللؤلؤ، تفوح منها رائحة الزهر
ونسيم البحر..

«دار»: كل هذا «رونا»!؟

«رونا»: نعم، فالمصير كيان مادي وروح لشبح
وطموح، إنه أنا بهذه الدنيا، في طريق رسم، أصلُ معه
لنتيجة مُقدرة للنفس، لا يغيره غير دعاء من صميم القلب
والروح، المصير أنا وأنتِ «دار».

«دار»: أهذا كله تفسير المصير؟ حبيبتى لِمَ تفكرين
وتشغلين بالك بأشياء مُرهقة؟ حبيبتى، أيجب أن يكون
الحب تمرد حبيب على حبيب، تمرد حب على وضع سائد
ودنيا التقاليد؟! ألا يوجد حب يجمل الكون، كما لو كان
عطرًا نثر رذاذه مع نسيمات الفجر العليل، ريحًا تسكن
جوف إعصار يُدمر؟ لِمَ يعيش بالظلام؟ ما يتغذى على
ظلم وقسوة لِمَ بداخله روح مُحبة؟ أ يوجد حب يضمني

وحبيبي ببوتقة عشق، حب نتماهى فيه؛ لنخرج منه كوليذ
مُتَشَبِع بجينات حب مشتركة؟! تختلط نواتانا لثشكلا
أشخاصًا جُددًا، في كل منا من الآخر الكثير، لا تمرد ولا
عصيان، لا رفض ولا نكران.

«رونا»: أتمنى لو كنا نعيش بعالم آخر مختلف، فيه
فقط أنا وأنت وحب وعشق وهيام، انسجام ووثام ومودة، أنا
وأنت بلا عيوب شريقيتا، وبلا قيود تخنقنا، فقط أنا وأنت
وشريقيتا الجميلة بما تحتويه من شرف وكبرياء، فخر
واباء، تضحية وسلام، حفاظ وأمن وأمان، لِمَ أتمرد عليك
وأنت حريتي؟! ولِمَ تتمرد عليّ وأنا سكنك؟! ليت من
يعاملون الحب بعنجهية يدركون أن الحب:

أنا وأنت بعيدًا عن كل العيون، في عالمنا الساحر
منسيان، في دنيا الصمت مقيمان، في حياة السكون
منسجمان.

أنا وأنت وشرقيتنا نعيش جُنُونًا حَنُونًا، بأسلوب حياة
صحيحة منعمان، بجمال تربية سنزرعها بأولادنا مهتمان،
أنا وأنت والكون يضمنا مع كل المحبين.

- أنا لست بشرقي «رونا» (قالها مبتسمًا).

«رونا»: اصمت، تُدرك أن قصدي أخلاقيات الشرق
الجميلة وليس المولد والتطبع بطباعه، لِمَ تستفزني
بتعليقاتك هذه؟ (قالتها ضاربة كتفه بمزاح).

- تضربيني «رونا»! إذا فعلت مثلك لن تحتلمي مني
لمسة، تذكرني هذا.

- سأفعل كونتي العزيز، أحبك.



غيرة

قابل «جو» «رونا» قبل بدء المحاضرة التي تحضرها الآن فقط لمقابلة «دار»، وقفت تحدثه، وبين الفينة والأخرى تلمح «دار» ينظر إليها شزراً، ترى عينيه كما لو كانتا جمرتين من نار، انتهت من حديثها وذهبت إليه، باغتها بالسؤال: إذاً هو يُحبك ويريد حبك؟! ما رأيك؟

هو إنسان عادي لديه مقومات حياة طبيعية، اذهبي إليه!! ليست هذه أول مرة يحدثك في الأمر، وكل مرة لا تغلقين معه الحديث وتُفسحين له المجال ليستمر في تكرار عرضه، يبدو أن الأمر يُعجبك!! (قالها صارخاً بوجهها، حتى إن زملاءهما توقفوا ليشاهدوا ما يحدث).

حاولت التحدث، لكنه تركها وذهب ليجلس في آخر صف بعيداً عنها، كل ما بينهما نظرات اتهام منه إليها، ونظرات اعتذار منها إليه، لتمتلى عيناها بدموع حبيسة،

حتى حل موعد معمل التشريح بقمامته المعتادة، أرسل إليها ورقة تناقلها الزملاء كالمعتاد لتصل إليها، فتحتها وقرأتها هي و«ميلي»: «

آه منك ساحرة الألباب، كحيلّة الأجدان، يا من تغتال الروح بطلو وعطر النظرات، وتملك بلحظها إثارة تعوض عمراً متداعي الأركان، وجيبياً لامعاً مثيراً بتركيز قط مشاكس متلوي الخطوات، آه منك..

يا من تُغرق ببحار عينيها ألف بحار وقبطان، بوجنتيك انتباه صقر يسرقني بتخيل معسول الكلمات، طلّتكِ عنف محب، وقربكِ قوة شد لخصر يتمايل بتفانٍ، مشيتكِ ممزوجة بشقاوة عجر إسبانيا مدروسة الحركات.

رؤيتكِ انفعال وتوتر مغامرة غرام، تأسر فؤاد الفنان، لكن خيبتني منك متتالية، فبات رد فعلي بارداً ممل القسمات، ناري العبارات، أعتذر منكِ فما بيننا قد صار «كان» وانتهى.

لتُصدم وتسرع ناظرة إليه فلم تجده، مسحت القاعة
بعينها بحثاً عنه لكن لا أثر، تبحر، لثُبِهت وتتمسّر في
مكانها حزينة من قرار هجره إياها.

* * *

استمر خصام «دار» و«رونا» أسبوعاً، كلما حاولت
الاقتراب منه تركها وانصرف، تراه يتحدث مع زملائهما
وهو العاشق للوحدة، فتقترب متحجبة بالحديث مع أحدهم
فبيتسم ابتسامة باهتة ويتركهم وينصرف دون أن ينطق
بأية كلمة، لذا كتبت له إحدى وريقاتهما المعتادة وخطت
فيها:

هو كان حنائاً وأماناً، خمري غير المسكرة، دوائي
وبلسمي، فنائاً ساحراً يجيد فك ألغازي وطلاسمي، يثيرني،
بيخور من بلاد الواق واق لنشر الانسجام، وبزمردة شفافة
يخفيني لينسيني الآلام، لكن مزقنا العذول، حتى بات مني
يستجير ويشتكى، ويصرخ بأنه يريد الارتقاء عن شباكي،

بأسود السحر وسهام غدرهم أفنعوه بلعنتي، ويحتاج ترياق
فك من محنتي.

أنصحوه بأن يكون خليط ترياقه مرمرًا، مشربًا بدماء
عنقاء منزوية، ويقلب بريش طاووس بيضاء، ويزيد حنجرة
خرساء، ثم ينهي المهمة؟ يشعل النيران بفك تتين مجنح،
يغيب أسبوعًا عن تسلطي المسلح، ليعود بعدها يغرس
أشواك رماد طلسمه في قلبي العنيد وروحي المظلمة.

كتب لها «دار» سريعًا الرد:

النوم بكهفي العتيق ملاذي الأمن من الحياة وحب
غادر، رغم أسفك البادي، وحبك الباقي، لكن ولأسفي،
ضاع ما بين أيدينا من ثقة وأمان برفيق الدرب بسبب
خذلان سكن القلب متبادل بيننا نحن الطرفين ليصير حبنا
بشعاب ودروب القلب، كما سحر أسود سكن طيات حياتنا
واستحكم، لنعيش معه في الليل أسرارًا وحكايات، تُنسج
لنعيشها بمتعة مسلوبة، لا لنحكيها بلمز وإشارات.

بعد أن مرت حكايات العمر تتوالى، يلوکها الدهر
كعلكة بغم يتيم من أطفال المساكين، توالي سنوات العمر
تتقاذفها الأحداث، كما زهرة الذئب نبتت دون إذن صاحب
البستان، هي وثمرتها السوداء كجنين سفاح ظلمه الأهل
قبل السنين.

تقولين: خذلتني!! خنتك أنا بتجنبي لك!! تدعين أن
خطأك ليس بهذا السوء!! رغم إدراكي أن الفكرة لم تكن إلا
تعويضاً لمشاعر ترغيبين لمسها بوقوفك مع شخص
طبيعي، فإنه في الغالب تأتي الأفعال الشريرة كمخاض
بذرة فكرة طيبة حسنة، وبسوء تنفيذ وتصرفات معيبة كما
تربية طفل فاسدة، تكون العواقب شراً وظلماً مسكونين
بدعاوى بريئة الهتافات، وأنت حاولت عيش حياة رتيبة
لمجرد أن تشعري بهدوء وأمان، مُعتقدة أنك لا تخونيني
فأنت لا تطلبين منه شيئاً ولا تشجعينه كما تعتقدين.

لكن مع الوقت سينتهي شعورك بالابتعاد عني رويداً..
رويداً وخيانتي، لقد قطعتُ عليك الطريق مبكراً، لأترك لك
المجال لتجريب ما تريدينه دون شعور بذنب خيانتني،

افعلي ما تشائين، دومًا أنا بجوارك حبيبتي حتى إن لم أكن
لكِ حبيبًا، متأكد لأحضاني ستعودين.

* * *

«ميلي»: «رونا»، هل ستظلين هكذا معتكفة داخل
حجرتك؟ هيا اخرجي وانطلقى، تعالى لتسهرى معنا اليوم،
فسأخرج مع «أمير» لحضور عيد ميلاد «جو».

«رونا»: أَعُدتِ لـ«أمير»؟

«ميلي»: نعم، تعلمين أحب عصبيته، وأسلوبه الساخر
من الحياة، كما أننا متوافقان في أغلب أمورنا، هيا تعالى
معنا، سنستمتعين كثيرًا.

«رونا»: تُدركين جيدًا كرهى لـ«جو»؛ فهو سبب فرقتى
عن «دار»، اتركينى لشأني واذهبى..

- «رونا!!!»، لا تتعزلى هكذا، أنتِ على هذا الحال
منذ شهر!! أفّ لذاك الـ«دار».

- آه «ميلي»، ذهب، اختفى منذ آخر لقاء لنا،
انتهينا، كان الوداع مقيتًا، اختفى، كما يجب أن يكون
الاختفاء، لم أجده بقصره، أخبرني «إلياس»، خادمه، بسفره
إلى ألمانيا، لكنني أعلم أنه يُغطي عليه فقط وأنه هنا في
القاهرة، اختفاؤه نظيف «ميلي»؛ لا إشارة، لا عتاب، لا
رسالة، لا اتصال، مجرد تذكرة ذهاب دون عودة.

أتمنى لو أقول له: يا أيها البعيد، أبهجت مسائي
الحرين، أضفت إليه نكهة استباحة المُتَلْجَات لحر الصيف
المقيت، ذوّبْتِي في بحر ضحكات أنثوية بلا حدود،
شهِيتِي لدلال وغنج دُفْنَا بباطن همومٍ بالضياح قيّدْتِي،
أبهجتِي، أسعدْتِي، أعدْتِي للحياة بكلمات خارج سياق
الوجود صديقي؛ فبلُورَة كلماتك الساحرة لن تخفي حبات
المعرفة عن عصافيرٍ بالوهم تُطعمها، ويومًا سيُفتت جدارها
سيوف الشمس، ويحرقه قناديل القمر المنسية في عتم ليل
الجهل.

لا تقلق على حالي، فما يربطني بك الآن هو اللهفة،
تلك الطفلة العابثة، هي من تسعى خلفك وتورط القلب مع

شعوذة الحنين، ليعلو صخبها يناطح النجوم رأساً برأس
ويثير السحاب ليهطل مطر المقل بغير حساب، آه من
ذاك الشغف الذي يسلبنا الواقع ويهددنا على فراش
الخيال، تروح عنّا أجنحة الحياة بلذة ودلال يثيران فينا
الأنثى ويطلقان عنان فعل الرجال، أنا الكارهة لحمل أيّة
ذكرى منذ ولدت، يورق ليلى، المناطح للسماء طولاً، مطر
من ذكريات قطع سكر قطفناها لشهور عدة، وكأنما عنقته
لتحلي علقماً احتل حلمي بأبدية، فصار وليدي الأول توأم
حنين وقهر عمد بدمع شجوني.

تبا للحنين، يُشبعنا بنغزات شوق مريّر لمهاجر على
ضفاف النبض يعيش، تعساً لحنين يرسلنا عبر بحار
اللهفة نحو من كره فينا الأرض والسماء، كنت من أطلقت
وحشك المجدول على الخضوع لقهر منذ الأزل كبلك
فتحرر بعد حبوٍ على أشلاء كانت يوماً أنا، وتعود طالباً
الأمان!! كيف أمنحك الأمان وأنا له راغبة؟! ما أنا إلا
صنيعة الأيام، هكذا كنت ولن أكون، لن أضعف من
جديد، وعلى سبيل الفكاهة البغيض، نفضت غبار أمان

عشقك، فاعتزل سلطانُ نومي الخلاب مملكتي، تركني كي
أصير قائمة، متهجّدة، ناسكة، أناجي أشباح وجدي بتهكم.

من البشاعة أن تشعر كم أنت حمل ثقيل على كاهل
أحبّتك، أن تراهم يسعون حثيثاً للتخفّف منك، مانحين إياك
معاذير مقنعة، أهمها: خوفهم عليك من قربهم، ليصير
أقسى ما أعانيه فرعي أن ينالني الموت في رحابة قبل أن
أنال حلماً أو أملاً واحداً مما تحنويه جعبة أحلامي.

سوق عكاظ

قررت والدة «رونا» إقامة حفل كبير احتفالاً بإحدى صفقاتها الكبيرة، في الحقيقة لم يكن الحفل إلا ستاراً لتعريف مسئول ذي منصب مهم في المملكة بباقي رجال الأعمال، رداً لدينها له؛ حيث خدمها بنفوذه لتفوز بصفتها تلك.

التجارة والسياسة وجهان لعملة واحدة تسمى المصالح، كلتاها تصب في بئر تسمى منافع متبادلة كما ترى «حليمة هانم»، طلبت من «رونا» أن تدعو صديقاتها؛ فهي تريده حفلاً شديداً الصخب يُرضي جميع الأذواق، عامراً بكل ما لذ وطاب من طعام وحتى أميرات صغيرات من صديقات «رونا» المتحركات؛ فوجودهن سيطعم الحفل بالإثارة والشغب المطلوبين، حاولت «رونا» استغلال الحفل بتقديم أغاني من تأليفها، لكن والدتها لم تترك لها حرية مطلقة في ذلك وانتقت هي الكلمات، ثم انتقت ابنتها

مع زملائها في فريق الجامعة لتولي أمر إشعال الحفل
بالأغاني والموسيقى.

نزلت «رونا» تتبخر مع «ميلي» لتفاجأ بتجمع كما
تجمع سَحرة ألف ليلة وليلة، بشر متضخمين أموالاً
وبطوناً، نساء ورجال، خليط لا تدري من مع من، عالم
ساحر البهرجة، ساخر الأفعال، كما ثعبان زاهي الألوان،
يحيطك من كل جانب، كرنفال صاخب، مستعد
للانقراض عليك في أي لحظة، بمجرد أن تتهاون قليلاً
وتترك له مجال الانطلاق، انفجرت «رونا» صارخة:

- «ميلي»، ماما استغللتنا نحن الاثنين وصديقاتنا،
قالت تريد الاحتفال معي بانتهاء دراستي وجمعي مع
صديقاتي للترويح عننا من عناء الامتحانات مستغلة حفل
صفتتها، لكن الواضح الآن أن العكس هو ما حدث،
استغللتنا جميعاً ليذخر حفلها بشقاوة صديقاتنا، أه منك
ماما، دوماً مستغلة لكل شيء تريه أو تلمسينه حتى أنا
وصديقاتي..

أترين هؤلاء البشر؟ يذكرونني بسوق عكاظ قديماً،
كانوا يجتمعون لإلقاء الأشعار والتبارز بالكلمات، على
شرف اللقاء تتم إقامة سوق آخر، لبيع الجواري والعييد.

همّت «ميلي» أن تتطق فأوقفتها «رونا» بأن وضعت
إصبعها على فم «ميلي» قائلة:

انتظري، لا تجيبيني بشيء ولا تدافعي عنها وعنهم
«ميلي»، لا داعي للتصريح بما هو واضح وصريح..

جذبتها من يدها وهي تكمل حديثها:

تعالى لنجول بفكر صريح، فسوق عكاظ عادت من
جديد، بل هي مستمرة منذ الجاهلية، لكنها دوماً بشكل
جديد، فيها الجميع يُباع ويُشترى، فيها لا شيء يسمى
الحمى، فيها النساء والرجال إماء، جوارٍ وعبيد، فيها الربا
كما الزنا، الطلبُ عليه يزيد..

سوق عكاظ، هلموا يا بشر، حسب الطلب تُباع
المشاعر، حتى السياسة تُلعب، كشدو شاعر، والبطولة

وسام زيف يحيط صدرًا، فهلماوا يا عباد الجسد، فها هنا،
سرادق سوق عكاظ قد نُصب.

* * *

تسللت «رونا» وتركت الحفل وصخبه، جلست بإحدى
الزوايا البعيدة بحديقة الفيلا تُراقب القمر وتتاجي «دار»،
تعرف أنه يسمعها ودائمًا يتابعها، واثقة أنه لم يتركها
لحظة؛ فهو لن يتركها هكذا وحيدة، تشعر به بقربها دائمًا..

«دار»: متيقنة أنني أسمعك ودومًا بجوارك، أليس
كذلك؟!

«رونا»: آه منك «دار» (قالتها باسمه)..

اعتقدت أنك لن تأتي أبدًا، لن أراك مرة أخرى، لم
فعلت هذا؟! لم تُعذبني؟! ونعم أعلم أنك تتابعني.

«دار»: ششش.. صمئًا، دعينا من هذا الآن، كان
عليّ إفساح المجال لقلبك ليتأكد من حبي، وعليّ التأكد

من قدرتك وقوتك لتحمل ما هو آتٍ معي، أعشقتك
صغيرتي، فاتنتي الصغيرة أنتِ، كونتيسي..

«رونا»: هيا أريد وعدًا مؤكدًا ببقائك كتعويض بسيط
عن غيابك، حبًا وهوى وصفاءً، قريبًا يجمعنا بلقاء، عشقًا
وهيامًا وفناءً، وصلًا يشملنا ببهاء، ذوبانًا كامل الأرجاء،
تجاهلاً لبشر حقراء، ممن يهدوننا جفاء، بُعدًا عن أسلوب
حياة بغباء.

«دار»: مجنونة أنتِ حبيبتي، مرتسم بعينيك حبي،
بقلبك يعيش صوتي، أسمع غنائِي حبي المفتون، لغيرك
من أنا؟

ولمن أكون؟

أنت من سكنت الجفون، في عينيك أحلامي تكون.

«رونا»: أريد منك وعدًا بسمو وغناء، العيش بجنة
فيحاء، الطفو بسحب سماء، والغرق بشهد الكبرياء، أن
تأتي لتحتضنني بعينيك.

«دار»: بين ذراعيك بوجل أكون، أتذكرين نظرات من كانوا يراقبوننا؟ بنا يفكرون ولا يتعبون..

يسألون: لِمَ تنتظر بهيام وشجون، وتضيء عيناها لفارسها المجنون؟

«رونا»: تقول: الهوى أنت، أقول: أنت الغرام، تقول: العشق مملكتك، أقول: معك الهيام، تقول: الذوبان عشك، أقول: حبك سلطان، تقول وأقول حتى ينتهي الكلام بفعلك جرم تقبيلي وسجني بالاحتضان (وابتسمت بسعادة).

«دار»: تريدن قبلة وحنناً إذًا!! (قالها هامساً، قرَّب وجهه من وجهها، محيطاً ظهرها بذراعيه ليضمها بنعومة).

«رونا»: لا (حاولت الهرب والابتعاد عنه، لكنه أجاد إحكام ذراعيه حولها)..

«دار»: حبييتي، اسمعي هذي النجوم، بهمسهم سيتوجون زفافنا، بالورود سيزينون عرسنا؛ لذا..

سأدعهم يتعجبون ويسألون، ليبارك أهلك عشقنا يا
فجري وصدحي للنجوم، فما نحن نبدأ حلمنا ومعك أكون،
اليوم أطلب منك الزواج لتشهد السماء وهذه الورود
والرياحين، كوني مودة وسكنًا باعتراف العيون.

«رونا»: آه، يا لفرحي ومفاجأتي، حقًا «دار»؟!!

آه منك، من بين الكلمات ألمح فارسًا مغوارًا، قاتلاً
ينتظر الفرصة، لينهال طعنًا بالقبلات، لكن هيهات، عيناه
تتجولان بنهم، لتنتهزا لحظة تنقض فيها يا مصاص
الدماء، تُدرك موافقتي على طلبك، هل تحوّلني الآن؟!!

«دار»: لا، لن أفعل الآن، سأحولك بعد حفل زفافنا

«رونا»: أنت مني نبض قلبي، وأنا منك أمان بحبي،
أنت نصيبي وقدري، وأنا فرحك بليلي، أنت هنائي
وسعدي، وأنا أصل التمني، آه منك، غجربة أنا في حبك،
لا يوجد أدنى شك، في بحارك، أغرق أمام الشاطئ،
بعينيك أمحو ثقة الشك، فتقبلني كما أنا أو اذهب وشكوكك

لحدود هتك عرض ذات الشك، فلن أسمح لك مجدداً
بخصامي بهذا الشكل.

«دار»: أحبكِ وستكونين أسيرتي

- موافقة

قالتها ضاحكة بفرح وشقاوة، ثم قبّلت خده الأيمن
وابتعدت مودعة إياه، صعدت إلى غرفتها لتريح عقلها
قليلاً بالنوم.

* * *

أخذ «دار» قراره بالذهاب إلى «حليمة هانم» في
شركتها، عقر دارها، متيقناً من أن سلاحه الأفضل لضمان
موافقتها على زواجه من «رونا» هو الدخول إليها من باب
العمل والصفقات، كي لا تُثير أي تعقيدات، خاصة مع
علمه عدم ارتياحها لشخصه، جهّز عرضه المغربي وذهب،

طلب من السكرتيرة مقابلة «حليمة هانم» وأعطاهما الكارت الخاص به، وبدورها منحته الإذن فور علمها من القادم.

استقبلته ببشاشة مشوية بحذر، مهللة في وجهه مسمعة إياه وصلته من الإطراء على شخصه وشركته العملاقة التي حققت الكثير في عالم الأعمال في فترة وجيزة، حاولت الاحتفاء به أكثر، فهو رجل أعمال لا يحل اسمه بمكان إلا جاءت خلفه الأموال والأرباح كبحر يفيض بالكثير والكثير..

«حليمة»: تفضل بالجلوس، سأطلب لك فنجان قهوة من بن برازيلي خاص، ما رأيك؟

«دار»: لا مانع، أريدها مضبوطة.

«حليمة»: حسناً (رفعت سماعة الإنترنت لتخبر السكرتيرة).

عاجلها «دار» قائلاً: شكرًا «حليمة هانم» على حسن استقبالك، فأنا مدرك لحجم مشاغلك، أخبرتني «رونا» عن

تأخر كثيراً ليلاً لإنجاز أعمالك وصفقاتك سيدتي (كان هذا تلميحاً بسيطاً على أنه و«رونا» لا أسرار بينهما، وهو ما استوعبته «حليمة» جيداً).

«حليمة»: شكرًا لك «حيدر»، هذه دنيا الأعمال لا مفر منها، إذا أغمضت عينيك قليلاً قد تنهار ولن ينقذك أحد، هل يمكنني مناداتك «حيدر»، فأنت في عمر أولادي؟ (كانت الأفكار تضطرب برأسها: لماذا جاء؟ أريد خطبة «رونا»؟ بالتأكيد سأرفض، أريد مشاركتي؟ سمعت أنه يوسع شركاته ويشترى الشركات الصغيرة والخاسرة؟ لكني لا أريد بيع شركتي!! شعرت بتوتر شديد، فهو ليس بالشخص الممكن رفض تنفيذ طلباته أيًا ما كانت ببساطة).

«دار»: بالتأكيد، سأدخل في صلب الموضوع، لا أريد تعطيل أيِّ منا عن أعماله.

«حليمة»: تروقني جدتيك، تفضل، أسمعني ما لديك.

«دار»: تعلمين أن لديّ فروعًا لشركتي تغطي دول وممالك العالم في أنشطة تجارية متعددة، كما أنني فزت مؤخرًا بمناقصة وزارة البترول لتمويلها بمعدات خاصة، هذه المناقصة هي ما أريد شريكًا فيها بنسبة محددة، فكرت أنه لا يوجد أفضل منك؛ فنشاطك بارز لا يمكن تجاهله، ووجودك معي سيفيدنا نحن الاثنين.

«حليمة» (تتفست الصعداء وابتسمت لتجيبه): نعم سمعت عن هذه المناقصة فعلاً ووددت لو اشتركت بها، لكن منعني رأس المال؛ فهي ستحتاج تكاليف ووقتًا، بالإضافة إلى المجهود الضخم، يسعدني شراكتك فيها، كم ستكون نسبة مشاركتي هذه؟

«دار»: لنقل ١٥%، تكفي؟

«حليمة»: زدّها قليلاً، لتجعلها ٤٠%.

«دار»: تعلمين أنك لن تتحملي أي مسؤولية وأنا من سيواجه جميع الأمور والمسئوليات، سأجعلها ٢٠% لأجل «رونا»، هي نسبة معقولة، فشريكي سأوكل إليه التصرف

في أثناء سفرياتي فقط، لا أحتاج لشريك فعلي، يمكنني تحمل الصفة كما تعلمين.

قاطعهما دخول عامل البوفيه بالقهوة لكليهما، وضع الفنجان والماء المثلج أمام «حيدر» (لم يكلف «دار» نفسه عناء النظر إليهما فهو لن يشربهما على أي حال، مجرد أنه يجاريها بتصنع البشرية).

وضع العامل فنجان «حليمة هانم» سائلًا: أهنأك أوامر أخرى سيدتي؟!

«حليمة»: لا.

ثم نظرت إلى «دار» مكلمة: إذا كان لخاطر «رونا» فلنجعلها ٢٥%، ألا تريد أن تفرحها بخبر شراكتنا؟

«دار»: حسنًا، تم الأمر (قالها ضاحكًا) سأتصل بالمحامي ليبدأ إجراءاته لتتقابل غدًا ونوقع الأوراق المطلوبة.

«حليمة»: حسناً، جيد جداً، سعدت بالتعاون معك
«حيدر».

«دار»: وأنا أيضاً سيدتي، هناك أمر آخر (كان يدرك
جيداً أنها لن ترفض الآن، فقد أشركها في صفقة عمرها).

«حليمة»: كلي آذان مصغية (توترت من جديد؛ لذا
عبثت في خصلات شعرها الأمامية لتزيل بعضاً من
قلقها).

«دار»: تعلمين أنني و«رونا» رفيقان منذ مدة، بيننا
ارتباط وثيق، أريد تتويجه بالزواج، ونريد موافقتك.

«حليمة»: أعتقد أن رأي «رونا» هو الأهم (كانت
إجابتها محاولة للمراوغة).

«دار»: هي تنتظر موافقتك، فأنتِ والدتها.

«حليمة»: تنتظر موافقتي؟! واضح أنكما اتفقتما
ورتبتما الأمر ولم يتبقَّ غير رأبي أنا (صمتت قليلاً ثم
أكملت):

- حسناً، موافقة، فلست أنا من تقف أمام سعادة ابنتها
ومستقبلها، مبروك..

فضحت تعبيرات وجهها الممتعضة رغبتها الحقيقية في
رفض الزيجة، لكنه تجاهلها قائلاً:

«دار»: شكراً لك، سعدتُ بموافقتك كثيراً.

«حليمة»: ومتى تتويان إتمام الأمر؟

«دار»: رتبت كل شيء، يمكننا الزواج في نهاية
الأسبوع المقبل، أمامنا عشرة أيام.

«حليمة»: آه، بهذه السرعة! واضح أنك كنت ضامناً
لموافقتي، أهذه ثقة زائدة أم غرور؟

«دار»: بل واثق في حبك لابنتك، كما أنني لا
ينقصني شيء لأتأخر بسببه.

«حليمة»: لا أعلم هل سأستطيع تجهيز ما يلزم
«رونا» أم لا! كيف سندعو أصدقاءنا بهذه السرعة؟ هناك
أشياء كثيرة يجب أن تُرتب، كما أننا لم نتفق..
قاطعها..

«دار»: لا تحملي هم أي شيء، بعلاقاتي سيتم الأمر
على أفضل ما يكون، وقد اتفقت مع «رونا» على كل
شيء، سنعيش في قصري، وهدية الزواج طقم ماسي
اشتريته لها من فرنسا خصيصاً..

«حليمة»: آه حسناً، واضح أنك رتبت كل شيء فعلاً،
هل تريد إخبار «رونا»، أم أطلبها أنا، أم أنها تعلم!؟

«دار»: اتركي لي هذا الأمر، أريد مفاجأة «رونا»
وإخبارها أنني فاتحتك في الأمر ووافقت، إذا سمحت لي؟

«حليمة»: حسنًا (نظرت ساهمة، لا تعلم سر عدم ارتياحها)

«دار»: أتركك لاستكمال أعمالك، سعدت بالتعرف بك سيدتي بالإضافة إلى شراكتك ومصاهرتك.

«حليمة»: السعادة لي أيضًا، انتظر، قهوتك!

«دار»: مضطر للاستئذان، فلديّ مشاغل كثيرة عليّ إنجازها، بعد إخبار «رونا».

«حليمة»: كان الله في العون، أقدر هذا، حسنًا، لن أعطك أكثر، مع السلامة.

تركها وانصرف وهي لا تفكر إلا في غرابته، لكن لم تشغل بالها؟ ما يهم الآن أنه قد شاركها في صفقة تراها صفقة العمر، كما أن ابنتها ستكون زوجة لشخص يعتبره كل من في سوق الأعمال حوتًا وإمبراطورًا، ستملك سطوة ونفوذًا سيحسدها عليهما الكثير.

فكر «دار» وهو يتركها: ماذا لو عرض عليها الاندماج في إمبراطوريته؟ نحى هذه الفكرة جانباً سريعاً، فأخر ما يريده بقربه شخص لحوح مثلها متعطش للثروة وفرض السطوة، قُربها سيثير الكثير من المشاكل والتساؤلات ويعطيها الفرصة للتدخل في حياته أكثر، هكذا أفضل، شريكة في إحدى الصفقات كل فترة وكفى.

فيرساتشي

اختفى «دار» في لمح البصر وذهب إلى «رونا»
بغرفتها وقصَّ عليها ما حدث، وطلب منها الاستعداد
للزفاف.

«رونا»: أريد فستان زفافي والإكسسوارات تصميم
فيرساتشي، أنا لست أقل من أنجلينا جولي..

«دار»: لكِ كل ما تطلين وتشتهين، فقط فكري بالأمر
تجديه أمامك كونتيتي.

«رونا»: حقاً؟! هل تستطيع ذلك؟!!

«دار»: بالتأكيد، فلديّ معارف وثيقة الصلة بأليغرا،
الشريكة في الدار، لا تقلقي، فقط اختاري التصميم الذي
يعجبك وقبل الزفاف سيكون لديك.

«رونا»: حسنًا، سأريك أحد التصميمات، منذ أن رأيتَه
الأسبوع الماضي وأنا أشعر أنه صُمِّم لي أنا، ثوانٍ،
محتفظًا به على اللاب توب، ثوانٍ، سأريك إياه، فقط
ثوانٍ، ها، انظر، ها هو، تحفة فنية حيكِت لأجلي.

«دار»: جميل جدًا وبسيط، يليق بالأميرات فعلاً
حبيبتني.

«رونا»: أعشق مزج الدانتيل مع الساتان بهذا الشكل،
كما أن نثر قطع ماسية صغيرة كنجوم السماء عليه هكذا
على هذه الثنيات سيعطي انطباعًا رائعًا بالهدوء، فأنا أريد
أن أبدو كأميرة حاملة بريئة.

«دار»: هههه، حسنًا لك ذلك، سأكلمهم وأتفق معهم
وأخبرهم عن ماساتك وثنياتك تلك..

«رونا»: ألا يعجبك الأمر؟ (قالتها غاضبة).

«دار»: لا، أشاكسك فقط، هيا أزيلِي ثنيات ومنحنيات
وجهك العابسة هذه، تبدين أجمل وأنتِ مبتسمة.

«رونا»: حسناً، هل اخترت منظم حفلات زفاف؟

«دار»: اتفقت مع «ندا الماروني» قبل أن أذهب إلى والدتك، ستتكفل بحجز قاعة الفرح وتجهيز الدعوات وحجز أماكن مبيت من سيحضر من الخارج، وقائمة الطعام في البوفيه المفتوح، أخبرتها أن يقتصر الأمر على الأسماك بأنواعها، وما يتبقى بعد الحفل تمنحه للجمعيات الخيرية، ستكون دعاية جيدة، كما طلبت أن تكون الموسيقى **DJ**، لا أريد مطربين؛ فوجودهم سيريك الحفل، أريد منك قائمة بضيوفاك وكيفية الاتصال بهم، وبالنسبة لي معها قائمتي.

«رونا»: يتبقى الاتفاق مع اختصاصية ماكياج؛ لا مجرد فنانة أو هاوية، لا أريد «ميك أب» أرست تحوّلني لمسوخ غيري.

«دار»: لا تفكري في هذا، لقد نُفّدت أمنية جميلتي، رغم أنك لا تحتاجين لواحدة، لكنني اتفقت مع إحدى صديقاتي الفرنسيات وستحضر لتزيّنيك، هي اختصاصية تزيين عالمية، ستفذلِك ما تتمنينه حرفياً بكل احتراف.

«رونا»: أعشق سرعتك في إنجاز الأمور .

«دار»: وأنا أعشّك أنتِ .

«رونا»: هل هي، أأ.. أقصد، هل هي مصاصة دماء
أيضاً؟

«دار»: لا تفكري بالأمر، أنتِ ومن معكِ بأمان، لا
تقلقي، شهر العسل سيكون كما الأساطير، فسندهب في
جولة إلى فرنسا ورومانيا وإيطاليا في يختي الخاص،
ستكون جولة واسعة لتري كل ما رأيته أنا .

«رونا»: أعشق هذا وأنتظره بفارغ الصبر، أنتِ فتى
أحلامي .

«دار»: وأنا أدوب فيكِ وأشتهي وصلك ليل نهار، هيا
سأترككِ لتتراحي قليلاً، فقريباً سنبدأ رحلة خلودنا معاً .

«رونا»: لا أطيق صبراً، لكن أعلم أن عليّ الانتظار .

«دار»: ألا تريدين منحي قبلة صغيرة عربوناً قبل
الذهاب.

تمنّعت، فضمّتها قائلاً: سأمنحكِ أنا؛ فلست بخيلاً
مثلك.

لتفاجأ بأنها في لحظة بين ذراعيه محتضناً إياها بهدوء
مقبلاً بهدوء، لتنتيه عن كل الدنيا وتدوب في قُبَلته.

«دار»: إلى اللقاء حبيبتي.

«رونا»: إلى اللقاء (قالتها هائمة بملكوت آخر، مخدرة
من أثر سحر قُبَلته).

تركها لتبدأ استعداداتها للزفاف، التي كان أولها بالتأكيد
الاتصال بـ«ميلي» لإخبارها عن كل هذه المستجدات.

* * *

اتفق «دار» مع «رونا» ووالدتها على أن تحضر صديقته «ميري» لتزين «رونا» في جناح خاص استأجره في الفندق المقام به حفل الزفاف، هي فنانة عن حق، فلقد أخبرتها «رونا» أنها تريد أن تكون ساحرة للقلوب والعيون بركة الماكياج؛ بحيث يراها الجميع نسمة بريئة وملاكًا ينقصه جناحان.

عندما انتهت.. نظرت «رونا» في المرآة لتجد أنها نفذت الأمر بحرفية، فلقد كانت عيناها مرسومتين كعيني كليوباترا لكن بألوان هادئة كما البحر، خذاها كما الرمان بركة، شفاها تبذوان شهيتين مغريتين، لكن..

كما إغراء الأطفال بريء، وفستان وإكسسوارات فيرساتشي أكملت اللوحة لتبدو ملاكًا عن حق ببساطتها، أثنت «حليمة» على «ميري» وعلى ما فعلته من أجل ابنتها، وشكرتها «رونا» كثيرًا فردت بابتسامة واستأذنت في الانصراف، كان الجو شديد الهدوء حتى قطعه «ميلي» بصرخاتها المهللة لعلمها مدى اشتياق «رونا» لـ«دار».

«حليمة»: يبدو أن بينكما أسرارًا، هل أنصرف مع «ميلي» ونعود لكما وقتًا آخر؟! نحن هنا أيها العروسان.

«دار»: أعتذر سيدتي، لم أقصد، فلقد خطفتني «رونا» بطلّتها هذه، كيف حالك؟

«حليمة»: بخير حال، أتمنى لكما السعادة، لا تقلق، هذه ليلتكما، لن يلومكما أحد على أي شيء.

«دار»: كيف حالك «ميلي»؟ تبدين مثيرة بفستانك الأزرق.

«ميلي»: شكرًا «دار»، مبروك لك «رونا»، أتمنى لكما السعادة والهناء.

«رونا»: نعم؟ ما لك بها؟! اتركها وشأنها؟!!

«دار»: ههههههههههه، «ميلي»، صديقتك تغار منك.

ابتسمت «ميلي» لعلمها مدى عشق «رونا» وغيرها عليه..

«رونا»: لا أفعل، لكن لا أحب أن تشاكس صديقتي،
وأمام عيني هكذا، ماذا ستفعل في غيابي إذًا؟!

«دار»: حسنًا يا أفندم، نعتذر، علم وينفد.

«رونا»: لقد حضرت «ندا» قبل حضورك بقليل،
أخبرتني أن كل شيء في مكانه، والجميع بانتظارنا.

«دار»: حسنًا، هيا بنا كونتستي.

«رونا»: هيا بنا.

اقتربت من أذنه اليمنى قائلة: هل ستحولني الليلة؟

«دار»: غدًا، استمتعي بليلتك ولا تفكري بالأمر كي لا
نتوتري.

«رونا»: حسنًا.

أخيراً معاً

بدأ الحفل بموسيقى كلاسيكية تحرك في أثنائها العروسان حتى وصلا إلى كرسي العرش المصمم ليكون قبلة يجلس عليها الاثنان وأمامهما رعيتهما من السادة الضيوف، اقتربت والدة «دار» وقدمت هديتها طقماً من الماس خطف أبصار الحضور قبل «رونا»، ثم قدمت لوحيدها دبوساً ماسياً ذا لون أرجواني ثبتته في الكرافت..

ثم بدأت الهدايا تنهال عليهما من الحضور، لتغمر السعادة وجه «رونا».. كلها هدايا تدل على مدى أهمية زوجها وسط عالم رجال الأعمال.

رغم كل هذا، لم ترَ «رونا» غير «دار»، وهو لم يرَ غيرها؛ كانت ليلة من ليالي الأحلام، أسطورية، كل ما فيها مبهر وساطع كما سطوع ألعاب الليزر المنتشرة في القاعة، راسمة صوراً لـ«رونا» و«دار»، رأت مدى براعة

«الماروني»؛ كل شيء يسير وفق نظام وترتيب خاص جداً.

حضر رجال أعمال وسياسة من داخل المملكة وخارجها لتهنئة العروسين؛ فهي فرصة سنحت لهم للتعرف بـ«حيدر باشا»، رجل الأعمال الشهير، فظهوره اجتماعياً وإعلامياً معدوم؛ لذا كان حفل الزفاف الفرصة الماسية للجميع للتعرف عليه عن قرب والتقرب منه.

لم يضايق الحضور إلا رجال الأمن؛ فهم يتسمون بجمود تصرفاتهم ونظراتهم الحادة، والصلابة.. كما استغربوا منعهم الدخول بالهواتف المحمولة ومرور رجال الأمن هؤلاء بين الطاولات للتأكد من تنفيذ هذا الأمر، بعد توصية من «حيدر» الذي كتب في كارت الدعوة ذلك؛ لأنه يريد حفل زواج تقليدياً كما أمراء وملوك العالم قديماً.. تقبلوا الأمر على مضض تاركين تركيزهم لكل ما حولهم من مظاهر البذخ ومراقبة والدة العريس ووالدة العروس وشقيقها المغازل لكل حسناء تمر من أمامه في الحفل

بصورة واضحة، حتى إنه حاول مع «الماروني» لكنها لم تُعَرِه أي انتباه.

الجميع كان يحسد «حليمة» على ما وصلت إليه من شراكة ومصاهرة رجل أعمال بحجم «حيدر باشا» لعلمهم ضخامة رأسماله وتوسع شركاته المستمر وتعدد أفرعها في مختلف أرجاء المعمورة؛ فالتراب بين كفيه يتحول إلى ماس وياقوت، وليس ذهباً فقط.

استغرب الكثير عدم وجود كاميرات تصوير داخل القاعة، فأجاب «دار» من سأله بأنه يراها ليلة للذكرى وليس للتصوير، وتركهم وانصرف وهو يرى في عيونهم ويقراً في أفكارهم عدم اقتناعهم بإجابته شديدة الرسمية.

استمر الحفل من الساعة الحادية عشرة مساءً حتى قرب الفجر، لينتهي في تمام الرابعة، وذلك لحضور الكثير من المطربين للتهنئة، وطلب المدعون منهم أغاني معينة فلبوا الطلب للتقرب من العروسين، وإرضاء لمستمعهم،

كان حفلاً صاحباً شديداً الجمال، ليلة من ليالي العمر التي تستمر ذكراها للأبد.

وأخيراً انتهت الليلة، انصرف الجميع، وودع هو و«رونا» «حليمة» و«لؤي» و«ميلي»، مخبرين إياهم أنهما سيسافران باكراً، ولا داعي لمجيئهم غداً لوداعهما، ستكون أول مرة تغيب «رونا» عنهم هكذا، لن يروا بعضهم إلا بعد مرور شهور من الآن؛ فبعد شهر العسل سيسافران معاً ليتابع هو أعماله في عدة دول قبل أن يعود مجدداً، تمنى لهم الجميع السعادة ثم انصرفوا.

* * *

صعدا إلى جناحهما الخاص، في الطريق حملها «دار» بين ذراعيه بعد أن خرج من مصعد الفندق، عانقته ليدخل جناحهما حاملاً إياها كما فرسان العصور الوسطى، كانت تبتسم بهدوء؛ فهو يفعل كل ما تحلم به وينفذ لها ما تتمناه دون أن تضطر لطلبه، أغلق الباب خلفه وأنزلها وهو يقبلها.

«دار»: هل تريدين عشاء خفيفًا وعصيرًا مُثلجًا
لتشربيه؟

«رونا»: لا، لا أشعر بالجوع.

«دار»: إذاً أتريدين البقاء هنا، أم نطير لقصري
لنمضي ليلتنا؟

«رونا»: كما تريد

«دار»: أيهما تفضلين؟ كلي لكِ.

«رونا»: لا أشعر بالراحة هنا، هناك سنكون بحريتنا
أكثر.

«دار»: حسنًا.

اقترب منها مقبلًا شفنيها، وضمها بشدة إليه، لتغمض
عينيهما وتسبح في بحر من اللذة.

* * *

«دار»: لكِ هذا أيتها المغربية الشهية (قالها مبتسماً بشدة).

اقترب منها وخلع لها التاج المثبت فيه الطرحة ورماهما بعيداً، اقترب أكثر وقبّل جبينها وهو يفتح سحاب الفستان بهدوء، خلعت هي الحذاء ليحدث صوتاً خفيفاً إثر سقوطه أرضاً بعد أن حملها «دار» بعيداً عن الفستان الواقع أيضاً أرضاً، قبّل وجنتيها وشفتيها ووزع قبلات صغيرة خفيفة على عنقها وصدرها، ثم مرة أخرى قبّل عنقها وهي مغمضة العينين، تستمتع بكل قبلة من شفتيه وكل لمسة من يديه لجسدها، ضمها بشدة إلى حضنه بإحدى يديه وبالأخرى أمسك عنقها، لتشعر بألم شديد فجأة..

كان «دار» قد اتخذ قراره بتحويلها الليلة، لكن لم يُرد جعلها تنتظر وتتوتر؛ لذا أخبرها أنه سيحوّلها اليوم التالي، كي لا تنتظر وتفكر بالأمر بما ينغص عليها استمتاعها بحفلهما، فوقع الأمر أخف وطأة من انتظاره.

تم الأمر، عضها وامتنص بعضاً من دمائها، ثم حملها
ووضعها في الفراش، سيتركها قليلاً لتتخلص من بواقي
بشريتها حتى يستطيع أن يبدأ بعد قليل المرحلة الثانية،
بأن يجعلها ترتشف قطرات من دمه، لكي تتحول إلى
مصاصة دماء مثله، ابتسم بشدة وهو ينظر إليها نائمة
كملاك بريء..

أخيراً وجد إنسانة جديدة بأن تكون شريكة خلوده.

المشعوذة

بعد شهر..

دخل «دار» الغرفة مسرعًا متسائلًا:

«رونا»، أين كنتِ؟ أُرعبتني!

لِمَ لا تجيبي؟ أين كنتِ الليلة الماضية؟!

«رونا»: ذهبت للتجول على شاطئ بحر إسبانيا بعد أن تركتك، هناك رأيت مشعوذة من غجر الصحراء، تتجول بين أصداف البحر وتتبختر، تُغني بصوت تفوح منه أنوثة ذاقت من خطوب الدنيا، ما قد سرق جمال المنظر، والجسد يبدو من رماده أنه يومًا قد كان خطيرًا ومثيرًا، زائغة العينين بين موجات البحر من أجل نزر يسير من خبر البشر من جن أحمر.



بين الفينة والأخرى تهبط لتلمس رمال البحر وتستخرج
ودعه، تنظر فيها بتعمق ثم تتركها كما كانت، أو تنظر
بتعمق أكبر وتوشوشها ثم تلقىها لماء البحر مودعة ببسمة
ثغر منهك فتدهور رسمه.

اقتربت مني ونادت: يا صبية، دعكِ من كتابك هذا،
اثنتيني بمبلغ مُقدر، لأخبرك ما يرضي قلبك المحبب،
ضحكت منها ثم سخرت منها قائلة: وما أدراكِ بقلبي
وحاله؟ دعكِ أنتِ مني، اذهبي، ساءني منكِ سوء المنطق
والمظهر، خاطبني عقلي، تلك المشعوذة لو تعلم أن قلبك
ميت منذ شهور .

أخرجتني من صمتي بقولها: يا بُنية، علامِ تباهيكِ
عليّ؟! اصبري، إليكِ مني خبر معلوم المصدر، قررت
المجازفة وسألتها: وممن جئتِ بخبرك يا عجوز؟!

ابتسمت ببساطة وأجابتي: تمزحين؟! لن أعاتبكِ فأنتِ
معدورة، ودعات البحر أخبرتني عنكِ، ونسمات الريح قالت
كثيرًا وكثيرًا، حتى تلك الرملات أفشت سركِ عندي، ومياه

البحر قالت أمورا عجيبة عنك أنت وحبيبك، أوقفت
تفاخرها بإشارة من يدي اليمنى لأجيبها: آه منك، تثيرين
فضولي بكلماتك، حسنا، هاك نقودك وقولي ما تريدين،
أخرجي ما في جعبتك يا مجنونة.

صمتت قليلا ثم أخبرتني؛ نجوم الكون تُنار من لهيب
أشواق العشاق، تلمع كانعكاس تموج ضياء عيون الأحبة،
ترتعث مع خفقات ودقات قلوب عذارى ونساء أمام من
بحسنهن يتغنى، تقترب وتتعد حسب درجة عشق سكن
أفئدة وأرواح رجال ونساء، أوقفتها: ما لي أنا بهذا؟
أخبريني بشيء جديد..

تململت في حركاتها وأكملت: إياك واللعب بمشاعر
وأحاسيس من أعلن حبك، من جاء بحلال الله لينال قريك،
دعيه بسماء صفائك يعش، ينهل من عطر أحاسيسك دون
حساب، من شهد عبيرك يطعم، ولأسر عينيك يُطلق،
اتركيه يفك قيود صفائك، يدرس تضاريس جغرافيتك
بتمهل، يختزن دفاك ليعوض برودة عاصرها أعواما في
غيابك، يختزل سنواتك بدقائق حب.

«دار»: تعتقد أنكِ تلعبين بمشاعري، آه منك، لم أكن أعلم، وبماذا أجبتيها؟! (قالها ضاحكاً).

- نعم لذا صرخت فيها: تدعين، فمن أعرفه لا أعب معه أي ألعاب، هو يراني حباً كما بقعة عليه إزالتها من شوائب أفكاره، حباً عليه معالجة أثر إحساسه المتراكم بي داخله، ناراً تُشعل أجزاءه عليه إزالتها بكلمات وأفعال تنهي وجودي بحياته، بقعة حبر لوّثت خطأ رسمه ليسير عليه بهدوء، حباً كالبيع هو عشق زائل بقضاء ليلة صاخبة، حباً شريكاه رجل وامرأة بلا قيود أو دليل إرشاد، حباً متمعداً لإرضاء غرائز أنثى وذكر ببحر ملذات جسد فانٍ، ويفكر في حل رباط جمعنا بحلال الله.

أتعلم؟ أجابتني بصلف: أعتقد أنكِ ظلمتِ حبيبك، أصدرتِ حكمك عليه وصادرتِ على أفعاله!! أحقاً تحبينه؟!

حاولت إفهامها أنني أحبك وتحبني، وشرحت لها أن بيننا الكون عدول، معك تبدأ حياتي، وفي حبك أجد فن

الهرب، فالحبك سراديب مخفية استيقظت يوماً لأجد أحدها
خلفي بقلعة الأحلام، آه يا من أحبك، بهمسائك تضيع
اتجاهاتي، وبهمسك تتطلق آهاتي وأنا تي.

ضحكت مازحة: تبدين خطيرة ومثيرة فتاتي، هي الغيرة
وليس الحب من يجعلنا نعيث إرهاباً خلف الحبيب بأنظمة
الأنثى العاشقة؛ فالحب بريء من أنانيتنا في امتلاك
الحبيب، وبالتأكيد أثرت غيرته وخنفته بـ«كيف تفعل
وتقول؟ لماذا ذهبت أو جئت؟ ومتى ستأتي وتعود؟»..

أخرستها بكلماتي: ظلمتني يا عجوز، أنا كائن مسالم،
أخاف وأرتعب من الخطر، وعشقه عن جد خطير، هو
متهور متطرف يعشق الانطلاق والسهر دون حذر،
التصرف دون حساب للغير، وكأني دون أهل أو عزوة، لا
يُدرِك حجم مأساة تضرر أهلينا بأفعال صادرة منا تسيء
وتنقص من قدرينا، ولعدم تنفيذي أوامره يتهمني بالبرود،
لتصدمني بأسوأ إجابة قد تتخيلها: وهل أنتِ كذلك؟ يمكنني
علاجك..

أغراني حديثها لأصارعها بما أشعر به، أكملت
اعترافاتي لها قائلة: نعم أصبتِ فهو أخبرني أن هدوئي
المغلف ببرود يذيب رغبة تطلب بهمس صارخ مني أن
أعود، أخبره بأنني موجودة لكنه يُنكر ويقول إنه يشعر في
حضورى بغيابى، قال إن رغبته بعشقى تُناديني لِمَ أنا واقفة
كعمود! لِمَ همسي بأذنه فحيح يثير الجمود!

يسألني: أين رقصنا بجنون الكوبرا؟ أين يختبئ التقاؤنا
السابق بصرخات قدوم كالحمر من الهنود؟ تركني وذهب
لأسأل بدوري:

لِمَ تركتني أتلاشى كفراشة تبللت، نالها الاحتراق بنيران
جفائك معي؟ تركتني لأعيش دور المقتولة، في تابوتي
استلقيت مغمضة أجفاني لأراك، أوقفت هبوب أنفاسي
لأستم رائحتك، أوقفت دقات القلب لأسمع دقات طبول
غرامك لأجزائي، جمّدت إحساسي لأستشعر لذة ضمك
عشقى لدنياك.

ناديت عليه: هيا تعالَ أوقد شموع عينيك لتدفئني،
ألهب شفتي بلقائك، اغزُ مملكتي بعشقتك، اروِ أنهارى
بقربك، وازرع صحرائى بهواك، هيا تعالَ، قُلْ أحبكِ لتضيع
أبجديتي، قُلْ أعشقتكِ لأتية بدنياي، قُلْ أهواكِ لتذوب
حرיתי، قُلْ أنتظركِ لأنطلق بسجيتي، قُلْ كل ما تريد،
المهم، أن تبقى وفيًا لمحبتى، وتحتل لحظات صحوى
ومنامى..

معك وفي عشقتك، سأهبط للهاوية واعية، لأصعد عنان
الجنة العالية، سأخطو واثقة بدروب الألم، دروب العذاب،
فأنت جائزتي بالنهاية، سأحطم ذاتى لأمزجها بذاتك
وأضيع بتجاويف أحاسيس سرمدية، سأكون أضحية
لمشعوذات الحب تُذبح بخناجر لذتك الماضية.

لكن حبيبي صدمنى بقوله: أبعدتني حتى بتُّ بأحلامى
أناديك، تعالَى، يمكنكِ المجرى لغزو أحلامى، أمنحك
تصريح عبور أسوارى، وصكوك الغفران لآثامك قبل لقائى،
لِمَ لا تأتئين؟! يا الله، هل أضيعكِ قصداً لأفوز بك حين

غفلة من أفكارك؟! هل أفقدك بيدي لأستحق قريبك حين
غفلة من معتقداتك؟!

يا قاتلتي وحببيبة عمري، صدى صوتك بقلبي كعين
الذئب يستبيح روحي، يغتال منطقي، يذبح عقلي، يتركني
طاووساً يختال في بحر حبك، أرتشف عشقك بتأنٍ
متلهف، كحبو طفل يسعى إلى احتضان أمه بموعد
الإطعام، لكنك دوماً كنتِ عصية حتى في عالم الأحلام؛
لذا، ابتعدت.

أجبتة يا مشعوذتي: يا مالك ليالي وخيالي، كيف هذا؟!
أنت من لم يستوعب أفعالي!! هيا أبعد طيفك عن أحلامي
ومنامي، فارق صحوي وأوهامي؛ فحضورك يسحبني معك
لدنيا بسحب بيضاء، يسمعي موسيقى هادئة سارقة
لأحاسيسي، تذويني، تدوخني، تتركني أشلاء، تطويني
كتاباً بيدك تقلب صفحاتي، تسلبني لُبِّي، تمنحني سعادة
كوني أنثى، تحوّلني لامرأة تتهل من بحر العشق، تمنحني
صك الحرية بدنياك، تفتح خزائن أسراري، تبعثرني،

وتجمعني بمفتاح غرامك لدقائق بحلال قربك يا رجل
أسراري، فلم الآن تعتذر وتودع مدعيًا واهيات الأسباب؟

بعد كل هذا أصر على عناده وقال: ما حدود
جنونك؟! يا حبية قاسية، معك عليّ الاختيار بين الرقي
وارتقاء سلم الخيال والأحلام بمنظورك من الانطلاق
بحساب، وبين الهبوط لهاوية الرغبات المنسية في عالمك
مما يثيرني، أخبريني، أتريديني وعالمي، أم تعشقين
الجمود؟!

أجبتة: آه لو تدرك سيدي الأثير مدى بساطة عالمي
من دونك، افتقادي بهجة الحياة بغيابك، مُتعة قربك،
حسرتي من مسافاتنا الفاصلة، معك فقط مالكي تعود لي
الروح لأعيش الحياة؛ فقد صارت متعتي النوم بأحضانك،
التدثر بنبرات صوتك، الحلم بصدى همساتك، إنعاشي
بلمساتك، الدفء بأنفاسك.

لكنه أصر قائلاً: حبيبتي، اسمعيني، إهمالك نتيجته
إهمال مني، والبرود في التعامل أيًا ما كان مبرره في

نظرك يزيد صقيع المشاعر بيننا، أما التكبر والاعتداد
بنسب وأصل فيكبران فجوة العناد حولنا، أنا نيتك وسّعت
اختلافنا في الحياة، صمتك وقت الكلام قتلني.

الفراق سبيلنا إذا لم تستوعبي مني هذه الكلمات،
تعبت، وهذه هي آخر ما بيننا من مجادلات، فقرري:
تريدين حبي والبقاء ببحر عشقي، أم تفضلين التعمق أكثر
بعالمك المُشبع بعبادات وقيم وتقاليد باليات؟! إليك القرار
وأنا بالانتظار، لكن لا تتأخري، فلقد مللت معك الانتظار،
أتعلمين يا هذه؟ تركته ذاهلة، فمن أختار؟! تعبت، أختار
حبي، أم عاداتي وما تربيت عليه لسنوات؟! جنّت هنا لعلّ
البحر يمنحني القرار، يا مشعوذة الحكايات، وسارقة
الكلمات، هل أجد لديك حلاً لهذه المأساة؟

اسمعيني بنيتي.. الحل في كلمات حبيبك، بارككما
الأهل ورب السماوات، فلمَ تحولين حياتك لمأساة؟! لمَ
خوفك من قيل وقال وأهل وجيران وزملاء؟! هيا انطلقني
في حياتك بحلال الله، هو زوجك وأنتِ حلاله، واجبك حبه
وإسعاده، حقك نيل سعادتك أيضاً، ولا تبالي بأضغاث

كلمات بشر يبغون تسلية بقليل وقال وشائعات صماء،
نصحتني إليك وحلي هو: «أحيي الحياة».

لا تُكفني عشقك، وتقتلي حبك، أسعدك الله برجلك يا
امرأة تهوى عذاب النفس، وترسل الروح لشقاء دون داع،
حلي قيودك واسعدي بالحياة، فما خلقنا الله لنقهر، بل
لنعبد ونسعد.

«رونا»: كان هذا موعدي مع البحر ومشعوذة أهدتني
الحياة لفترة وجيزة، ما رأيك؟ هل أجدت دوري كظالمة
لحبيبها العاشق؟

«دار»: بالتأكيد؛ لذا عليّ اتخاذ احتياطاتي كاملة
مستقبلاً كي لا تخدعيني بتمثيلك، ممثلة بارعة (قالها
ضاحكاً).

«رونا»: «دار»، أعلم أنني قد خدعتها جيداً، تخيل لو
علمت أنني مصاصة دماء هل كانت اقتربت مني لتحادثني

ساعة كاملة؟! لو كانت مشعوذة حقًا وتعلم الطالع ما
اقتربت مني ولا جاءت إليّ، تستحق ما فعلته معها..

«دار»: ما أستغربه حقًا حبيبي صبرك عليها، وعدم
انقضاك عليها!! بدأت تتحكمين في شهوتك.

«رونا»: فكرت باقتناصها، لكن استعذبت حديثها،
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: تبدو مسلية، قد أذهب إليها كلما شعرت
بالضيق؛ لذا اخترت أن أدعها تنعم بالحياة قليلاً، من
الممتع ملاعبة الفريسة أحياناً قبل اقتناصها؛ فالأمر هكذا
يبدو مثيراً أكثر، عاجلاً أم آجلاً سنتال جزاء إزعاجها لي
في أثناء القراءة.

«دار»: حبيبي عاقلة، حتى في هذا الأمر فكرت
بمصلحتك، أعتقد أنها سعيدة أيًا ما كان الأمر بنجاتها.

* * *

بعد شهر سيمر عام على زواج «رونا» من «دار»،
سيقيمان حفلاً كبيراً يحضره جميع المعارف والأصدقاء،
ذهبت «رونا» بقرون استشعارها لتعلم ما ينويه «دار»، لم
يكن بالغرفة، فجلست تنتظره، تشعر بقربه، بالتأكيد هو
آتٍ..

- «رونا»، ماذا تفعلين بغرفتي؟

- مختلفٍ أنتَ منذَ أيام، جئتُ لأعرف ماذا يحدث!

- لا شيء «رونا»، مجرد شعور بالملل يتمكنني هذه
الأيام..

- ملل! لِمَ الملل «دار»!؟

- «رونا»، لا تثيريني أكثر، ألا ترين؟! انظري جيداً
حولك!!

تلفتت حولها ثم نظرت إليه مستغربة، فأكمل قائلاً: ما
هذا الملل؟! لا أعرف حتى بما أشاركك به اليوم من

أفعال!! لا أعرف حتى ما أختار لأضيفه من أقوال!!
أترين هذا الشبح المسمى مللاً؟ أتستشعرين وجوده ولمسه
مثلي؟ آه، حتى إنني أتذوق له مذاقاً كئيباً مقيتاً!! أتوقع أن
منظره بشع مثير للغثيان، مثل أعراضه الجانبية الظاهرة
عليّ، تَبّاً لك، وأفّ أفّ لك يا هذا، ابتعد؛ فحتى كئوس
مشروباتي لم تعد تجدي معك نفعاً!!

«رونا»، أهو الملل حقاً، أم أن نرجسيتي هي الملل؟
لا، لا، متأكد أنه الملل، ليس غروري ونرجسيتي المختبئة
خلف سطوتي ونفوذتي، يا عقلي، الغوث! لقد نالني منه
التعب والإرهاق.

- «دار»، ماذا بك؟! لمّ كل هذا؟

- «رونا»، اتركيني لشأني، فلقد تعبت منك ومن
أفعالك..

«رونا»: ماذاااا؟! أتحوّلت ضدي الآن؟!

- أخبريني، لِمَ كنتِ تذهبين إلى «جو» طيلة الأسبوع الماضي؟ هل بدأتِ تحنين سريعاَ لمغامرة جديدة معه؟!

- الأمر هكذا إذا! تتهمني بخيانتك!

- أتتكرين الأمر «رونا»؟ لقد رأيتكِ بعينيَّ وتبعتك في كل مرة تتسللين إليه، لِمَ تذهبين إليه؟

- أتعرف «دار»؟ كثيرًا ما أسأل نفسي: ماذا لو لم نلتقي؟! أكنت؟ أكانا؟ أكان؟ ومتى؟ وكيف؟ وأين؟ بحر أسئلة شائكة معك حبيبي، تسرق نومي وتقلق راحتي، أقارن دومًا حالي سابقًا بالآن، لأكتشف مدى عشقي لك، لكنني أخاف..

أخاف أن تكون قد اعتدت على وجودي، ألا يكون ما بيننا حب، هل تحبني؟! لكن لا، لا تُحب؛ فإجابة ما سألتك بالفعل أمامي، مارست لعبتي معك وكانت ثمارها عكس ما تخيلت، نتيجتها كانت اتهامك لقلبي بخيانتك..

ارتكنت على الحائط المقابل له، تضح ملامحها من
الحزن..

- «رونا».. تعلمين مدى عشقي، لكن معك تتعطل
كل حواسي، مثلك أنا خائف وأتساءل:

يا حبيبتى..

لِمَ الكثير من الأسئلة تحرقنا؟!!

هل ضللنا، أم تم تضليلنا؟!!

هل سحقتنا بأحداث واقعتنا..

أم أننا بضعف إرادة عشنا؟!!

هل الطريق ضل منا..

أم نحن من ضعنا؟!!

هل هرب الخيال منا..

أم نحن عنه تخيلينا؟!!

هل هو حب ما به شعرنا..

أم سراب عشنا به وتغنيا؟!!

أكان حباً زائفاً ما تخيلنا..

أم حناناً بالخطأ حباً توهمنا؟!!

أكان وهماً ما عنه نتاجينا؟!!

أكان، أكان، يا حبيبي؟!!

أنقذيني من شر ما له ذهبنا..

أخبريني بأنك لم تغضبي..

أنتك ما زلتِ حبيبيتي..

- «دار» حبيبي أنت كل ما لدي، آه نسيت أن
أخبرك، كنت أعلم أنك تتبعني، فلقد تعلمت اشتمام رائحتك

وتمييزها حبيبي عن باقي ما حولي من روائح (قالتها بنظرة انتصار وفخر، وهي تتصرف ذاهبة إلى غرفتها تعلق وجهها ابتسامة لطيفة).

أجابها بصوت عالٍ: لا تعودي لفعل ذلك ثانية، لا تحاولي إثارة غيرتي بهذا الأسلوب ثانية، أحبك مشعودتي المجنونة.

ذكري زواج

أين «دار»؟ لِمَ اختفى من دون أن يُخبرني؟! يا لهذا
البؤس، ما سبب الاختفاء مرة ثانية الآن؟

«رونا»: «إلياس»، أين «دار»؟ لم أره منذ الأمس!

- في القبو سيدتي، هل أذهب لأخبره أنك تريدينه؟

«رونا»: لا، سأذهب إليه.

«إلياس»: سيدتي، أيمكنني سؤالك عن هجوم الأمس؟

لِمَ يهاجمونا بعد كل هذه السنوات فجأة؟ هل فض
الكونت الاتفاق المبرم بيننا؟! لِمَ شركاؤنا في الليل
يستبيحون دماغنا؟ استغلوا غياب سيد «حيدر» وهاجمونا!!
ألسنا مثلهم بالأرض لنا الأغراض نفسها، أم لمجرد كوننا
«مهجنين» وهم «أصل نوعنا» من دون أن نسيء لهم

يؤذوننا، يقتلون عشيرتنا من إخوان السيد «حيدر» من دون حتى ترك مجالاً لتبدي التبرم من سوء فعلهم؟! بالتأكيد يعلمون أننا الأقوى وأنه تم تلافى عيوبهم بنا، نستطيع التعايش مع البشر بكل بساطة، ألم نعد اتفاقية مع فصيلتهم المشتبهة لدمارنا؟!!

نظرت إليه «رونا» وهو يشتكى بحرقه، تُخبرها عيناه ما يعتمر عقله من أسى مستكين، لكن بمَ تجيب خادمها الأمين؟! منذ سنوات يعمل مع «دار»، ساعده الأيمن وخازن أسرارهِ، والآن هو حاميتها في غياب «دار»، رجل متفتح الذهن لكن يعيبه الجبن؛ لذا فقد استمر في خدمتهما كمجرد تابع ولم يحاول يوماً تحقيق هدف خاص به يرفعه إلى مصاف الطبقة العليا.

تركته وانصرفت لتتساءل بأفكارها:

هل أخبره بوجود طرف آخر مختلف يتلاعب بكل الأطراف ليظلوا متناحرين، لتحقيق مصلحة أكبر وفرض نفوذهِ، أننا قتلنا أفكار سيطرة منهم تعيث في الأرض فساداً

منذ عصور التتين؟! يحرضون على قتل كل ضعيف
لأسباب بعيدة عن أي صلة لشرع ودين، ها نحن ولمجرد
رغبة بسيطة في تغيير بعض بنود الاتفاقات المبرمة،
يهاجموننا ويرغبون في تقليص أظافرنا، هل علينا فرض
السيطرة وإظهار القوة العنيفة ليخافونا؟!

هل أخبره أن الأعلى منا سلطة ينشرون البغضاء
لتحقيق مأرب للسياسة صاحب وقرين، أنهم لتأجيج نيران
العداوة بين الجموع يستغلون اختلافاتنا ويتبعون أسلوب
«فرّق تسد» ليضمنوا من رعيّتهم وتابعيهم الخضوع، أنهم
يوهمون الجميع بأنهم من الجميع مهددون، أن على كل
طرف قتل الآخر للخلاص من قلق السنين؟! يا للجحيم،
ليدركني أي شخص، بم أخبره؟

* * *

يبدو قبوك كئيبيًا الليلة «دار»، ألن تمنحني قُبلة
ليتحول لينا جنة ونعيمًا في أحضانك؟ (قالتها وهي

تتراقص أمامه بفستانها المشغول من الدانتيل الأحمر شديد
الالتصاق بجسدها).

احتضنها «دار»: ألا تريدن شيئاً آخرَ بجوار الحزن
والقُبلة؟!

- لا، سأكتفي الآن بفطوري هذا حبيبي (غمزت له
غمزة أنثى عاشقة تتلهف للقاء عشيقها، وابتعدت عنه).

ضحك ولم يعقب، فهو يُدرك جيداً أسلوبها عندما تريد
مساكسته وإثارته ثم تركه لتعاقبه قليلاً على أمر ضايقها
منه..

- أتذكرين ما كتبت لي بمناسبة زواجنا منذ عام؟

- بالتأكيد حبيبي، لا داعي لتذكرها الآن كانت أيام
البراءة من سفك الدماء، والتلذذ بامتصاصها.

- تجيدين إفساد أجمل اللحظات رومانسية بكلمة،
شرقية أصيلة حبيبتى.

- ماذا سيفيدنا تذكر خاطرتي؟! أعتقد أن عليّ نسيانها؛ فلقد تبدل حالي وابتعدت عن دربي القديم، انطلقت لعالم الخلود بكل ما فيه من نعم وآثام..

- دعك من هذا، تعالي هنا وأخبريني، هل جهزت كل شيء لاحتفال الغد؟

«رونا»: نعم بالتأكيد، كنت أريد مناقشة التفاصيل معك أمس لكنني لم أجدك، بحثت عنك بكل مكان، حتى إنني جنّت لقبوك هذا وناديت عليك (وقامت بإحاطة فمها بيديها لتتحدث عبرهما بهدوء وشوشة):

- أيها الكونت، أين أنت؟!

بحثت عنك طوال الليل، ظننتك في سُبَات عميق!

تبدو تعيساً ومرهقاً!!

ألم تستمتع بليلتك؟ هل صادفتك العراقيل؟

أوجدت بالانتظار أحد صائديك العنيدين؟!

أم أن الليلة كانت صاحبة، حد الاختفاء عن الأنظار؟!

أوه نَسِيت، يُتعبك ضوء النهار، ألهذا تبدو شديد الإرهاق؟! أخبرني الآن، اختفيت وبعدها هُوجمنا، انقضوا علينا بشراسة مستغلين غيابك، فأين كُنت؟!

«دار»: تدعين البراءة أنتِ، صحيح؟!

كانوا يطاردونني طوال الليل كونتيسي!!

يريدون إعدامي بوتد خشبي، غرزه بمنتصف قلبي، يريدون تقليم أظافري أو قطع رأسي لأنني أعلنت التمرد وأرغب بسلطة أعلى في منظمنا التجارية.

أحيانًا الاختفاء أفضل وسيلة دفاع عن الهجوم المباشر؛ لذا فقد فضّلت الاختفاء داخل تابوتي، في أعماق قلعتي، وبغياهب الغموض المحيط بقصرنا.

«رونا»: ماذا؟! هل فضلت الهرب بأحضان تابوتك؟!

يا مالك بوابات الجحيم والعذاب الأبدي!! هل اخترت
الجُبْن حلاً سيدي الكونت؟! لم أكن أعتقد بك هذا، يا
حسرة قلبي من هذا الخذلان، صدمني من سيدي
الاستسلام!! أيا خيبة الأمل، وضياع الخيال السارح، فكل
هذا كان مجرد أضغاث أحلام، قرر الكونت في النهاية
الاستسلام في تابوت الأحلام.

«دار»: أين كنتِ أنتِ؟! بحثت عنكِ فأخبرني
«إلياس» بأن الهجوم انتهى، حاولت إيجادكِ وبحثتُ في
كل مكان لتُسانديني، فلم أجدكِ!! كعادتكِ لُذتِ بالفرار،
أليس كذلك؟!

أغلقتِ قنوات تواصلنا العقلية بارتعابك هذا، لا تُجيبني
مُسبقاً، أعرف الجواب، كيف أُغير عادتكِ تلك؟! كيف
أُقنعكِ بالتصرف كما الملكات؟! كونتيستي، لا يليق بكِ
الخوف من هؤلاء اللئام، هم كما شعبنا من الرعاع ونحنُ
لهم سادة، ذوو دماء زرقاء!! فلا ترتعبي ممن أرسلوهم لنا
من حشرات، ما هم إلا بعوض وصراصير بالأقدام تُدهس،
نُصفي ما بهم من دماء بتلذذ ومتعة، نمارس مع أسيادهم

الألعاب بمكر ودهاء، لنا الخلود، ولهم الفناء، نحنُ
أصفياء صفوة مصاصي الدماء، وهم الكثرة الأغبياء..

- أنتَ فررت مثلي.

- عندما لم أجدك تملَّكني الرعب عليك؛ لذا اختبأت
لعلِّي أستطيع قراءة أفكارك في هدوء، لم أهرب نتيجة
جين، هناك فرق.

«رونا»: دعك من هذا، هيا، لدينا حفل صاحب شديد
المجون غدًا، علينا الاستعداد له، كما أن حفل زفاف
«ميلي» اليوم علينا الذهاب إليها للاحتفال معها.

* * *

أعتقد أنني نادم منذُ الآن على إقامة حفلنا غدًا، لم
تعتادي بعدُ السيطرة على شهوتك للدماء، عليكِ فعليًا
التحكم والسيطرة عليها «رونا»، عليكِ تعلم انتقاء من

تهاجمينه، لا تُهدري طاقتك على أي شخص كان، تعلمي
مني الصبر والتحكم والسيطرة على..

لم تدعه «رونا» يُكمل وقالت له: حسنًا.. حسنًا،
سأفعل بدءًا من، ومن خارج القبو سمع صوتها تُكمل: بعد
الغد (مصحوب بضحكة مجلبة كما لو كانت صادرة من
عاهرة لعوب).

* * *

مر حفل الزفاف على خير حال، ولم يُثر أي شيء
شهية «رونا» لاقتناصه أكثر من المعتاد لتسيء التصرف؛
فمرت الليلة بسلام، فهي لا تريد إفساد ليلة صديقتها
«ميلي»، خاصة أنها لا تعلم بتحول «رونا» لمصاصة
دماء.

- «دار»، هل رأيت كم هي جميلة «ميلي» كما
الأميرات؟ كانت شديدة السعادة لزواجها من «أمير»،

فدومًا كان لديها اعتقاد أنهما لن يتزوجا لكثرة الخلافات
بينهما، آه منك «ميلي»، كم أشتاق لأيامنا السابقة معًا..

- هيا «رونا»، أخبريني شعورك الآن عن زفافها، أعلم
مدى عشقك متابعة هذه الاحتفالات، من تزين جيدًا؟ ماذا
ارتدت هذه؟ ومن مع من؟ ومن يعشق تلك؟ ومن تخون
زوجها مع من؟

ضحكت قائلة: يكفي أن أقول كانت أميرة الليلة..



الحفل

قبل الحفل بساعة، ذهب «دار» إلى «رونا» حيث تستعد للحفل، كانت ترتدي فستانًا أسود من الساتان؛ فهي تعشق هذه الخامة لنعومتها ورقتها، كان طويلًا للأرض مجسمًا عليها؛ لتبدو كما عروس البحر، لتظهر منطقة الصدر كمنار مضيء، عنه حدّث ولا حرج، ما جعلها تبدو شهية كما «أفروديت».

شعرها المصبوغ باللون الأرجواني يغطي نصف ظهرها الظاهر من فتحة الفستان شديدة الاتساع، تركته منطلقًا كما أميرة إسبانية، والحذاء أسود لامع مزينّ بقطع صغيرة حمراء اللون من الماس، والكعب عالٍ مزينّ بقطع ناعمة مفضضة،



اقترب منها ليلبسها عقدها الماسي متعدد الطبقات،
قائلًا:

- عليّ القيام بسجنتك الآن، عليّ أن أحمي البشر من
شر ثورتك الآتية (قالها ضاحكًا).

نظرت إليه بغضب:

- من أنت لتعاندي وتحاريني؟ خَف من جبروتي
فأنت صنيعي!!

«دار»: لست صنيعك «رونا»؛ بل أنا من صنعك
ويمكنني إنهاؤك.

«رونا»: تعبير مجازي حبيبي، لا تغضب، تعلم هذا
يقينًا.. (ثم تركته لتباشر آخر تحضيرات الحفل).

* * *

ناوشته نفسه بما يُقلقه، يعلم علم اليقين أنها تعشقه، لكنها ما زالت تلومه أحياناً، من دون إعلان صريح، على تحويلها إلى مصاصة دماء، فأول من تضرر كان والدتها وأخاها، قضت عليهما بعد أن فقدت السيطرة على شهوتها، يعلم أنها تنتقم لعلها تنسى وجهيهما الفزعين، بمهاجمة بشر آخرين، خاصة ممن يكونون مشاعر الكره لوالدتها سيدة الأعمال بعد ما وصلت إليه منذ صاهرت «حيدر باشا».

- «رونا»، مليكة عمري، اغفري ولا ترجمي قلبي.

* * *

بدأ الاحتفال بأغنية صاخبة، بكلمات تدعو للمجون والضياع، استغربها الجميع، فقط «دار» علم أنها ستكون ليلة ليلاء، وعليه الاستعداد لحملة تطهير وتنظيف بالغد، بعد أن اتخذت «رونا» وضعية الاستعداد لممارسة مهامها كملكة لهذا العالم ومالكته.

يعلم أن ضعفها تحوّل إلى قوة مضاعفة ورغبة في السيطرة، ستعوّض كل لحظة ضعف عاشتها، ستقرض قوتها المستمدة من خصائص مصاصي الدماء لتحكم العالم.

لقد أصبحت ترى كل من حولها ضعفاء، حتى إنها اعتبرتهم قطيعاً يمدّها بالغذاء المطلوب، ستقضي على الجميع، خاصة من يعارضها أو يعارض مصالحها في السيطرة على الجميع، لكنه جهز لها مفاجأة قوية ستغمرها بالسعادة.

* * *

نظرت «رونا» من الأعلى إلى حديقة قصرها بفخر حيث يُقام الحفل، هؤلاء البشر كلهم أتوا للاحتفال معها بعيد زواجها، الاختيار صعب، من منهم سيكون وجبتها الشهية اليوم؟ عليها أن تُخلي الساحة لـ«دار» ليبدأ مشروعه الخيري ويستقطب الجميع حوله، سيحقق وجوده على أرض الواقع، وبعدها سيكون الوصول إلى كرسي

السلطة أيسر، الآن عليها البدء بمنافسي أمها الأشرس ثم تقضي على نويهم الأضعف، ستكون كما محمد علي باشا وستنفذ مذبحة القلعة بطريقتها هي..

- أمي، آه يا وجعي، لا أدري كيف فعلت ما فعلت بكِ أنتِ و«لؤي»، لكنه خطأ «دار».. نعم، هو المخطئ، كان عليه السيطرة أكثر على تصرفاتي، كان عليه منعي من الذهاب إليكما.

يعتقد الجميع أنكما قُتلتما قتلّة بشعة من أعداء عمك، وحدي و«دار» من يُدرك أنني من قتلتما بضعفي، قُتلتما بمن لها نفس دمائكما.. أمي، أخي..

ما زلت أتذكر ملامح «لؤي» الهادئة، لم يعانِ انقضاضي عليه من الخلف، شُلت حركته، لم يستوعب ما حدث رغم نظرته المرعوبة وصرخته الضعيفة، تم الأمر سريعًا، لكن أنتِ..

أه منك أنتِ، نظرتك المرعوبة حينما ضبطتني أمتص
دماء «لؤي» وهو ينتفض بين ذراعي، تيبسك أمامي وأنا
أتقدم إليك تملؤني شهوة الدماء، سؤالك باستغراب: من
أنتِ؟ أين ابنتي؟ ماذا فعلتِ بها؟ لم تشبهين ابنتي هكذا؟

وقتها علمت أنه لا تفسير في الدنيا سيجعلك تفهمين
ما حدث لي، كيف أخبرك أنني أحببت مصاص دماء
وقدمت نفسي وجبة شهية له ليلة عرسي؟ لذا فقد كان
القرار الصعب، انقضضت عليك، ما زال صدى صرختك
يدوي في أذني، لم أستوعب كل ما حدث إلا بعدما فرغت
وهدأت نيران شهوتي، عندها لمحت «دار» واقفاً أمامي،
يصرخ مكرراً سؤاله:

- ماذا فعلتِ؟ ماذا فعلتِ؟ أجيبيني «رونا»، ماذا
فعلتِ؟ لقد حذرتك.

لم أعرف بماذا أجيبه، صدقاً ماما لم أحب إيذاءك أنتِ
أو «لؤي» أو أي شخص، كائنًا من كان، حتى الكائنات
الغريبة المسماة بشرًا من المتسولين والعجزة الذين يُحضرهم

لنتغذى عليهم، كان قلبي يؤلمني عندما أستشعر خوفهم
وَألمس انتفاضاتهم الفزعة، قتلناهم بدم بارد؛ لأنه لا أحد
سيفتقد وجودهم ويبحث عنهم.

ربما عليّ الاعتراف، الخطأ خطئي، المصيبة من
فعلي، عليّ تحمّل مسؤولية ما فعلت، ما كان عليّ الخروج
خلسة لأراكما، إذا التزمت قصري ما كان قد حدث ما
حدث ولكنتما معي الآن، بعد أن أتدرب على التحكم
بانفعالاتي وشهوتي أمام الدماء، أنتقي من أهاجمه وأمارس
عليه قدراتي.

ماذا أقول؟ لقد اعتقدت أن «دار» يهوّل الأمر ولم
أحتمل عدم رؤيتكما ثلاثة أشهر كاملة، رغم أنك كنتِ
دومًا بعيدة عنا لا نراكِ كثيرًا، لعله القدر، قدرك أم قدرتي؟
لا أعلم، لكنه بالتأكيد القدر، هو ما جعلني أهرب وأتي
إليكما يومها.

هربت وتركته يواجه الأمر بمفرده، أجاد دوره في إخفاء
آثاري، خطط ونفذ الأمر ليبدو سرقة أفضت إلى قتل مَنْ

في المنزل، أترفُ ببراعته؛ فلقد أثار فوضى عارمة
بالمنزل وأخذ كل ما يستطيع جمعه، ما أفرغني قيامه
بذبحك أنتِ و«لوي»، أعلم أنكما لم تشعرا بهذا!!

كيف ستشعران وأنا من قمتُ بقتلكما قبلها؟

لكنني لا أحتمل التفكير في هذا الأمر، الأمر برمته
يُثير ارتباكي، ها هي قد مضت تسعة أشهر، إلا أن رجال
الأمن إلى الآن يعتذرون مدعين تمكُن القاتل من الفرار؛
فلا أثر يدل عليه..

سمعت شماتة بعض منافسيك ماما في أثناء سرادق
العزاء، يعتقدون أن الساحة قد خلت لهم، بعد أن تخلص
منك أحد منافسيك، لا يعلمون ما ينتظرهم مني، لقد قررت
الانتقام من الجميع، وسأحكم العالم بمساعدة «دار»، معًا
سنكوّن إمبراطورية الدماء، سأجعلهم يندمون، اليوم هو
اليوم الموعد، سأبدأ بهم بالترتيب، سأنظف الساحة من
هؤلاء الحثالة، لأبدأ عصرًا جديدًا، عصر القوة والسيطرة
المطلقة، أحكمه أنا و«دار»، سيكون عصر الخلود..

مع «دار» لن أقلق؛ فهو يجيد التعامل مع الجميع، سأكوّن عالمًا خالدًا كخلودنا، شعاره «الموت للضعفاء والحياة للأقوياء، فقط للأقوياء مصاصي الدماء»، نحن ذوو القوة والخلود فقط من نستحق الحياة، نحن من نستحق السلطة والسيطرة، سأكون حاكمة العالم كله ماما، وسأعاقب كل من يقف في طريقي، سأجعل من مؤسستك المؤسسة الأولى في العالم، لن ينافسني أحد ولن يتجرأ عليّ أحد؛ فأنا الخالدة «رونا» آتية لاجتياح العالم.

* * *

تحركت «رونا» بين الحضور قائلة:

- أهلاً بالجميع في قصر الكونتيسة، يسعدنا تواجدكم معنا اليوم للاحتفال بالذكرى الأولى لزواجنا.

ثم فرقت أصابعها مرتين فأطفئت الأنوار، حل ظلام شديد القتامة تواعم مع انطلاق روائح بخور شرقية بكثافة، انتعش الحضور كما لو كان هناك مخدر ما يسري في

أوصالهم إثر استنشاقهم البخور، سُمعت صرخة مكتومة،
ظنها الجميع صوت تحرك طاولة إثر اصطدام أحد
المدعوين بها، أُضيئت الشموع، وظهر «دار» مرحبًا
بالجميع، راجيًا أن يستمتعوا بالحفل، معتذرًا عن عطل فني
في مولد الكهرباء تتم معالجته لتعود الإنارة بعد ثلاث
دقائق، أدرك أن «رونا» بدأت تنفيذ خطتها، لحظات وبدأ
الصخب والاحتفال بمجون.

ابتسم دار وهو يتمتم: «تلميذة نجبية»، اعتقادها بأنها
من قتلت نويها زاد لهيب حماسها لبناء إمبراطوريتها
معًا..

عالم أسطوري لكم تمنى إنشاءه، ها هو على أعتاب
عصر جديد مع كونتيسته، بدأ يفتش بنظره عن فريسته،
يبحث عن ضحية مميزة الأفكار، كي يضيف لمخزونه
الثقافي مع كل غذاء جديد يحصل عليه، عكس «رونا»
التي إلى الآن تتغذى من أجل إطفاء شهوتها للدماء، أو
إرضاءً لشهوة الانتقام، لكن الآن..

وبعد ملاحظة شخصية فريستها المفقودة من بين الحضور، أدرك تطورها قليلاً فقد أضافت اليوم بند اختيار فريسة غيابها يفيدها ويقربها من حلمها.

* * *

اختفت «رونا» نصف ساعة، صعدت إلى غرفتها بعدما أنهت مهمتها شاعرة بالنشاط والحيوية، فريستها كانت عضواً بارزاً في جمعية حقوق الإنسان، وباختفائها ستخلو الساحة لتتقلد منصبها، بدلت بفستانها آخر لونه أصفر كناري من الشيفون، تأكدت من مظهرها ثم عادت للانضمام إلى الحفل، أصوات موسيقى الروك تصم الآذان، لمحت «دار» من بعيد فذهبت تجاهه لتُصدم صدمة العمر..

لقد كان يقف مع...

لا تصدق..

كان «دار» يقف مع والدته وامرأة تشبه والدتها،
تشبهها إلى حد كبير، غير أن هذه تبدو أكثر نضارة
وشبابًا، يا للجنون! هذا «لؤي»..

اقتربت أكثر، نادى على «لؤي» فاتجه إليها بنصف
ابتسامة لترى الدماء تغطي فمه، تسمرت جوار «دار»
تتقل بصرها بينهم ببلاهة، تمسكت بكتفه كطفلة رأت
شبحًا، لا تستوعب ما يحدث!!

أنقذها «دار»:

- «رونا».. هذه مفاجأتي لك في الذكرى الأولى
لزواجنا، لم تقتلي عائلتك، لقد أنقذتهما وحوّلتهما لأعضاء
في مجتمعنا الحاكم من خلف الأستار.

- ماذا؟!

- انظري حولك وستفهمين من هم ضيوفنا الأعزاء
كونتيستي.

نظرت حولها..

دارت حول نفسها وهي تركّز في ملامح كل الحضور؛ لتجد أن كل مَنْ في الحفل يمارس حقه الطبيعي في امتصاص دماء من ظنّتهم ضيوفاً من فئة أقل أهمية، ضيوفاً من فئة أقل شأنًا من نجوم المجتمع الذين اهتم «دار» بكل تفصيلة تخص راحتهم..

كانت تصدق «دار» عندما أخبرها أنه سيدعو بعض المشردين والفئات العادية ممن يختلط بهم في الحياة لأجل الدعاية والصورة الاجتماعية التي يحاولان إبرازها لتحقيق أهدافهما، سيحوّلهم إلى نجوم مجتمع لمدة يوم واحد، يوم سيتذوقون فيه كل ما حُرّموا منه طيلة حياتهم البائسة، فاجأتها رؤية نجوم المجتمع الحقيقيين في صورة قميئة سوداء، كل فرد منهم متمسك برقبة فريسته يمتص الدماء بكل أريحية.

شعرت بسعادة مؤقتة لرؤية عائلتها ثانية، لكنها صُدّمت مما تراه الآن، خاصة بعد أن تركتها والدتها،

قَبَلَتْها وهي تشكرها على تحويل حياتها للأفضل ومنحها
رحلة خلود، ثم ذهبت بصحبة «لؤي» لنيل نصيبهما من
هذه الفرائس المتاحة بلا ثمن أو تعب، فمن سيسأل أو
يبحث عن مشرد كان يتخذ الإسفلت بيتًا والسما غطاءً؟!!

نظرت إلى «دار» وسألته باستغراب:

- لقد ظننت أنني الوحيدة الشهوانية بشراسة، المتلذذة
والمستمتعة بدماء البشر وأنت لا تحب إيذاءهم!

- هل غير ذلك من حبك لي؟

- لا، لكن...

- هل غير موقفك نحو الوصول إلى حلمك في
السلطة المطلقة؟! بالتأكيد لا؛ لذا...

حبيبي، دعينا نحتفل، هيا لأعرّفك على الجميع من
جديد، ستعرفين حقيقة مجتمعنا الآن حبيبي.

- من هاجمنا إذا منذ شهر؟!!

- مجرد تمثيلية لأرى مدى شجاعتك وجرأتك في
المواقف المختلفة.

ضحكت ضحكة رقيقة ساخرة، اهتز كل جسدها بشكل
أثار «دار»، نظر إليها بعينين فضحتا اشتهاه ورغبته
فيها، لكنها وسط ضحكاتها أكملت وهي تُغلق شفثيه
بإصبعي يدها السبابة والإبهام:

- يا للجحيم! لقد سقطتُ ببراعة في الاختبار.

- معي لا يوجد شيء يسمى فشلاً أو سقوطاً، أنا
موجود لمعالجة هفواتك هذه.

- انتظر.. كيف ستتصرف في هذه الجثث كلها؟!

- «إلياس» سيهتم بالحنائلة من المشردين، أما فريستي
وفريستك من نجوم المجتمع، اللذان كانا يمثلان عائقاً أمام
تحقيق أهدافنا؛ فستقلب بهما السيارة على الطريق وتتفجر
وتُشوّه الجثتان بما يعدم فرصة الكشف عن سبب الوفاة
الحقيقي، الجميل أن الجميع سينشغل بسبب وجودهما معاً،

تعلمين أن مجتمعنا يعشق الفضائح ويتغزل في فك نسيجها
المتشابك.

- أحبك جدًّا، لديك رأس ماسي يستحق مليون قبلة.

- سأكتفي باثنتين الآن كي نتفرغ لتعريفك على عالمك
الحقيقي.

قبَّلته «رونا» ثم تذكرت أمرًا فابتعدت عنه قليلاً:

- لا أريد مزيدًا من هذه المفاجآت، لا أحب أن أكون
آخر من يعلم.

- لا أستطيع أن أعدك.

- سخيّف.

- أيها السادة الحضور.. لحظات من فضلكم، أريد
انتباهكم هنا، الآن لحظة كشف الحقائق لسيدة قلبي
وكونتيستي الغالية، سنبدأ من هناك، سأعرّفك بالسيد

«عوض الباز»، أشهر مُعارض للنظام، وصديقه السيد الوزير.

- انتظر، كنت أظنهما مختلفين وبتراشقان الاتهامات!

- انسي معلوماتك المكتسبة من حياتك العادية، الآن سنكشف الستار معًا عن عالمنا، سأعرفك بمن صديق من، من عدو من، وعليك مراعاة أن هذا كله متغير؛ فكله يخضع لمدى احتياج كل منهما للآخر وحسب ما تقتضيه المصلحة، كنا نعمل في منظومة واحدة لتحقيق أهدافنا بعيدًا عن عالم المثاليات الأفلاطونية. «عوض باشا».. عرّف زوجتي بطبيعة عملك؛ فهي من المعجبات بشخصك.

لكنها لمحت «أليسا» صديقة الجامعة.. أمسكت بكتف «دار» وهي تسأله بدهشة: "هي معكم؟!".. بلا مبالاة أجابها: "أوه! لا؛ ليس حاليًا، ولكن في القريب ستكون؛ لأن صديقها معنا"، ضحكت «رونا» بصوت رقيق وعالٍ قبل أن تتمايل في دلال قائلة:

- أوه يا ربي! فلتبدأ الألعاب، يبدو أن الإثارة قادمة..

* * *

داخل القبو، انهمك «إلياس» في تنظيف آثار الدماء، بعد أن غطى جنثي ضحيتي «رونا» و«دار» جيداً كي يتخلص منهما فيما بعد مع جيش مساعديه، أما باقي الجنث، من الشخصيات غير المهمة، فسيضعها في آلات فرم اللحم بمصنع «حيدر للحووم المجمدة والمفرومة»، اعتاد هذه المهمة منذ زمن..

جنث ضحايا «دار» دوماً نظيفة لا تشوبها شائبة، أما «رونا» فكان يتضايق من همجيتها في الافتراس؛ تنتثر الدماء في كل مكان، وتعشق تمزيق وجوههم بما يثير اشمئزاه، ما يريحه قليلاً أنها بدأت تخفف من تصرفاتها هذه مؤخراً وتتحكم في همجيتها تلك بعد أن حدثها «دار» أكثر من مرة.

سيتخلص من أحشاء الجثث في مدافن أسرة «دار»
كالعادة، تلك المبنية في آخر بقعة من حديقتهم الغناء،
توقّف.. نظر إلى الفريسة التي انتقاها لنفسه وهو يفكر
ويسأل نفسه:

- أيرضى الرب بكل ما نفعل؟

هل سنعاقب يوماً؟

هل يوجد رب في الأساس؟!

نظر في عيني فريسته فرأى فيها الفزع، الكره، الرغبة
في الانتقام لما أحدثه فيها من جروح وكدمات، وما يفعله
من استهانة بجسدها واستباحته لها..

استمر في أفعاله..

اقترب منها..

أطلق سراح يديها..

فك الكمامة عن فمها ..

سألها بأدب جم، لا يليق بالموقف، إذا كانت تريد
شرب كأس من نبيذ أحمر فاخر، صنف لا تحلم برؤيته
طيلة حياتها البائسة، نعتته بالحيوان، ليضحك بجنون
ويفاجئها:

- أيتها البائسة، لم أختطفك لألتهم جسدك وأتلفذ
بأنوثتك، صحيح جسدك شهوي، لكن دماغك أشهي، كنتُ
مجال سخرينتك وتهكمك لسنوات كلما رأيتني في الشركة،
تطلقين النكات والمزحات السمجة عن أنني أبدو كما
مومياء متحركة، وعن ملابس قديمة الطراز، كنت أسمعك
بالمناسبة ..

صرخ كمارد: «أنا، يا جاهلة، رئيس مخابرات هذه
المنظومة، زعيم الأمن، ومن سيمتص دماغك أيتها
الساخرة وأتركك مومياء تتعفن عظامها في هذا القبو
البارد».

- سيبحثون عني، الجميع يعلم أنني جئت لحضور الحفل.

- سأضعك في السيارة التي سأخلص عن طريقها من هذين النجمين هناك، أو لا يهم، لن أعدم الوسيلة لتبرير وفاتك أيتها البائسة..

حاولت الصراخ، فضحك أكثر بصوت عالٍ، سائلاً بكل سخريّة: هل تعتقدان أن صوتك سيصل للآخرين حقاً وسط هذا الصخب الجامح والموسيقى المنتقاة لهذا الغرض بالذات؟ صحيح مجنونة! أين عقلك المتكبر الآن يا مناضلة؟! أتذكرين يوم كنت تحرضين زملاءك للثورة على ديكتاتورية السيد «حيدر»!؟

- يا الله! كنتم تراقبوننا؟! لهذا كان زملائي تنزل عليهم هدية من السماء عبارة عن فرص عمل في أماكن بعيدة؟! كل من أقنعه بالاعتراض والتمرد على أسلوب إدارة الشركة يسافر أو يختفي لفترة ثم يعود شخصاً آخر.

- الآن ظهر ذكاؤك، نعم نخفيه بالقتل ثم نضع مكانه
شبيهاً يحل محله حتى ندبر أمر اختفائه الكلي بالسفر أو
الهجرة، أو أحياناً يقتنع بالانضمام إلينا بدلاً من الموت
فنحوله لعبد في قطيع تابعينا.

- هل ستحولني لمسخ مثلكم؟!

- أهذا طلب أم عرض؟! عموماً كلاهما مرفوض،
أتذكرين كلماتك، أم أن ذاكرتك قصيرة كجسدك القزم
المنتفخ بالدهون هذا؟! أنا أذكرها، أووووووه، كنتِ تكررين
دائمًا:

- لم يُصدرون لنا الخوف من داخل أنفسنا..

قبل محيط يغلفنا؟!

هؤلاء المنتفخة جيوبهم من عرقنا..

يصدرون لنا الفزع..

من كل ما يعارضنا..

يصدرون لنا الكره..

لكل ما يعلو حدود أحلامنا..

وما نصبو إليه بآمالنا..

يصدرون لنا الكثير من الموبقات!!

بعنوان غلاف..

تربية تُناسب ثقافتنا وديننا!!

لكن..

أين المجتمع من الدين؟!

وأين نحن من المجتمع؟!

أين الحقيقة من وهم معتقداتنا؟!

أين الدين من تخلف ساستنا؟!

وأين السياسة من صحيح الدين؟!

أين معلمونا..

متفقونا..

من شعوب باتت تكفر..

بكل زيف غلف الميادين..

شعوب فُهر أبناؤها..

بأيدي أبنائها؟

أين حقنا في الحياة..

وسط هذه الغابة الملعونة المسماة..

«حياة»؟

اقترب منها وهو يتشمم رائحتها، يلحق رقبتها مُصدرًا
همهمة الاستمتاع، فبدأت في الصراخ، صراخ متواصل، لا
طائل منه.

شعر بدقات قلبها تتسابق في ماراثون قفز سريع، ثم
هدوء مفاجئ، اختفى صوتها، تاهت مقاومتها، انطفأ بريق
عينها، لكنها ما زالت تتنفس، قلبها ينبض، لم يمتص
دماءها، لا يريد قتلها ببساطة..

غريزته حفزته لممارسة بعض الألاعيب معها، جسدها
ما زال بضًا ومثيرًا، فما المانع من بعض المتعة؟! ثَبَّتْ
أظافره في رقبتها، وحرك أصابعه تجاه الأسفل بهدوء..

سمع أناتها الضعيفة، وهو ينزع عنها قشرتها الخارجية،
جردها مما تسميه ملابس، وبدأ هجومًا سريعًا، شن غارته
بنقة ظافر منتصر، التهمها بذكورته على مهل، ثم بهدوء
كسر عنقها لينهي الأمر كليًا..

ثم ابتعد متأففاً، ليكمل مهامه في تنظيف الفوضى المتخلفة عن الحفل.

* * *

وهناك في معركة الجوع الثانية وبين أروقة القصر، كانت «رونا» تعبت بفريستها الثانية مع «دار»، متلهفة لإزالة كل العوائق الحائلة بينها وبين عالمها القريب من الاحتلال..

توقفت فجأة لتسأل:

- «دار»، سمعت إشاعات كثيرة حول الملك، هذا الرجل يبلى في جوفه الكثير والكثير، يكفيه ما حصل عليه، أريد حصتي، متى سيحين موعد لقائنا معه؟!!

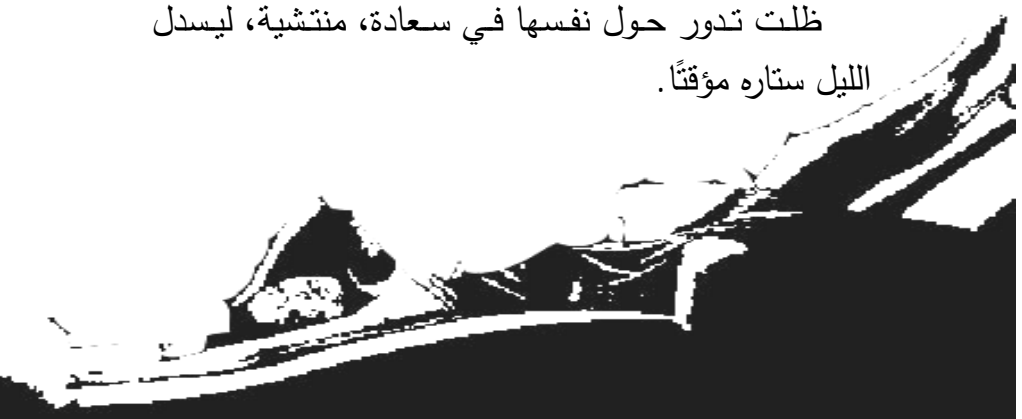
- لم يحن أوانه بعد، نحتاجه في مكانه حالياً، وسندعمه بكل قوة ونساند وجوده ونحسن صورته أمام الرعاى من الشعب، وعندما أبلغ السن المناسب جميلتي

حسب أوراقى الحالية، بكل بساطة ستظهر الأوراق
المختلفة عن الشعب المسكين؛ تلك التى تظهر حقيقته
السوءاء، ليتضح كم هو وحش كاسر، حيوان بلا ملة أو
دين، ثم أحتل المشهد كمنقذ ظهر فى الوقت والمكان
الصحيحين، حينها سيختاروننى برغبتهم وإرادتهم الحرة
كمخلّص، بعدها سنتبادل الكرسي بيننا كما لعبة الكراسي
الموسيقية وسيصفقون فى سعادة وهم يهتفون بأسمائنا، لن
يدركوا أننا قلب وروح واحدة فى جسدين مختلفين.

- أخبرتك سابقاً أنني أعشق عقلك هذا.. صحيح!-

ضحك فى سعادة قبل أن يخبرها المفاجأة الأخيرة:
«حبيبتي لقد قمت بشراء مسرح أولاد الغريب، واتفقت مع
الممثلين وسيكون الافتتاح بمسرحيتك، أتذكرينها؟

ظلت تدور حول نفسها فى سعادة، منتشية، ليسدل
الليل ستاره مؤقتاً.



شيطان حياة

لم تنتهِ القصة؛ فهي قصة حياة منذ الأزل تُعاد وتُكرر،
سأكمل لكم قصتي، أنا عاشق الليل..

في واقعنا، من يفرض نفوذه وقوته؟ وعلى من؟ الغلبة
معهم ليفرقونا، ليوزعوا أفواتنا وأرزاقنا، بل حتى ليعدّوا علينا
أنفاسنا، ثم يقهرونا بمفاهيم وأسباب معيبة، وإمعاناً في
القهر يمنحوننا مبررات تحولنا، حال الخضوع، لعبيد
وجوارٍ..

بل ربما حيوانات عجماء عليها السير مربوطة الأعين
لتنفذ مشيئة الله وما جُبلت عليه فقط كما يفهمونه هم لا ما
أراده الله حقاً، لا مجال لتكتشف أنها ليست بحيوانات،
ليست بجمادات، بل كائنات حية، أناس من نسل آدم لهم
حقوق وعليهم واجبات، يحاولون بنفوذهم داخل قلوبنا
إلهائنا بما يُنسبنا إنسانيتنا..

يريدون منا الغرق صارخين، مُهللين: أيا أسيادنا، زيدوا
من قهرنا؛ فنحن لها وتحت أقدامكم دومًا، ازرعونا في
الأرض طيبًا، وارثقوا أنتم إلى السماء نجمًا ساطعًا.

ومن فوق أبراجهم سمجة المشاعر يلقون إلينا فضلات
أقوال متهمة، يقذفوننا بروت اللوم وسخيف العبارات.

لا تلموا يا سادة؛ ففي جنتنا الأرضية زرعتم الجحيم
سدًا منيعًا يُبعد عنا أنفاسنا وأرواحنا، متجسدة في المُلقبة
بالحبيبية، تسيدتم الموقف مدعين أنكم الملوك، الأباطرة
المستحقون، أنكم المحميون كما اللوح المحفوظ بجوف لؤلؤ
خُبئ في قاع النفس، أنكم المستحقون لمن تختارونه حتى
إن رفضكم، وأن من سواكم عبيد وجوارٍ مصيرهم رفس
النعال، ادعيتم أنكم الأصفياء المؤمنون الأتقياء، يا هؤلاء
اسمعوني..

الإيمان عز وفخر وحرية، الحرية إمبراطورية عادلة
وحاكم مسئول، الدين حياة، والحياة إنسانية ورفعة، الرفعة
سلطان مُبهر وديدبان حق، الحق ثقة وتحرر من أية

عبودية، العبودية خضوع لشهوات، لحب ودنيا تشذ عن ملكوت الله، عادل في أرضه، الكل سواء لديه لا ملك ولا جوارٍ ولا عبيد، فالعبيد رق قاومته السماء لإكمال الإيمان.

لا تضغطوا علينا أكثر، فيوماً سنثور ونتجرأ باضطرار ونُصدر فرمائاً، يحوي قراراً بطوليّاً بأن نستأثر بدور الشرير، القاتل، السفاح، نفلها كي نُفسح المجال لغيرنا ممن ظلّموا كي يعيشوا، يتنفسوا ببراءة وراحة بال، ربما يستطيعون فعل ما لم نقدر عليه نحن الضعفاء أمامكم، فلتعلموا حينها أننا سنصمد إلى النهاية..

نهايتكم أنتم..

أنتم ونصائحكم البالية ستنتهون كما نساء فانتات، فات قطارهن بلا موعد إياب، أغلقتن بنصائحكم أمامنا سبل الحياة، تمكنتن من منافذ الروح؛ لذا فقد سعت النفوس إلى الهلاك، تحكموننا بعبادات مقبّية، كامرأة بلغت من العمر الأربعين، هذي الغيداء الهيفاء الماكرة، عاشت للأربعين عابثة لاهية، تذوّقت من متع الدنيا ألوفاً، تسحب خلفها

رجالاً كثيراً بتبعية، عاشت متخيلة أنها حرة كطائر، يجول
من دون قيود بسماء الحرية، طاووس منتفخ، يقترب ويقرب
ما تشتهي نفسه وعيناه.

لكن يوماً سيُنقذ روحها زاهد، عفت نفسه عنها، شيخ
شاب بهدوء وسكينة، سرق منها الروح، وبحب الله
سيسقيها، بكل روية سيسحبها لتتير الدنيا كلها بخير؛ فهو
على دنياها الصاخبة الماجنة سيفتح عينها، يسير بالدنيا
عابر سبيل، سئيرها الخير والراحة اللذين طالما بحث
عنهما، بداخل قلبها وقلوبنا معها سجد سكينه واستقراراً،
بعيداً عن فهم خاطئ، عن لاهية عابثة تذبج في الكل،
تُسمى عادات.

سنستيقظ وقد أفقنا وعرفنا من الصديق ومن خان
الدار، يا الله! من كنت؟ وأين سأكون بقراري؟ فلتلهمنا
صبراً وترسل لنا مهدياً يأخذ بأيدينا، فقد ضجت نفوسنا بما
يُحيطنا من قيود باسم عادات بالية، من ماضٍ وحاضر
مُظلم عافنا واقبل أذارنا، اغفر لنا شرورنا وأوزاراً مرت

بالعمر الفاني، نحمدك فاحمنا من شر الآثام، فأنت يا ربي
عزأؤنا.

لكن صبراً، لِمَ نتباكى؟ بما أُنَّا بدأنا خطوة فعلينا القتال
جيداً كي نصل إلى نهاية الخط وإن كانت بموتنا، لن ندع
لكم المجال كي تنفذوا إلينا ثانية وتُخضعونا، أما الآن فلکم
نتمنى أن يُعجّل الله بالاستجابة لدعواتنا المُبتهلة، بأن
يرزق أحببتنا ميلاد روح جديدة تلغي سقم أرواحهم الحالية
وعجزها، كي تُتقدّم من آثام الحياة وما جنّته عليهم في
ريعان الشباب المسلوب منهم قبل الأوان.

انتهت

٢٠١٤

شكر خاص



المراجع اللغوي/ محمد أحمد عبد الغفار

الكاتب/ وائل نصار

الكاتب والفنان/ محمد آدم

الكاتب/ خالد الجزار

المهندس/ حسين الزواوي

صديقتي/ شيرين عباس

صديقي/ محمد الحمامي

أ. د/ رشيد العوضي

م/ ماجدة حمامه

صدر للكاتبه

ورقياً:

- . مجموعة قصصية "روح وجسد" - دار أكد للنشر والتوزيع ٢٠١٤ .
- . رواية "شهران" - دار غراب للنشر والتوزيع ٢٠١٥ .
- . رواية "على الجانب الآخر" - دار الوليد ٢٠١٦ .
- . رسائل "ماذا لو؟! " - دار جولدن بوك ٢٠١٧ .
- . مجموعه قصصية "موت على قيد الحياة" - دار جولدن بوك ٢٠١٨ .
- . رسائل "يا أنت . . أنا " - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٨ .
- . رسائل "ثرثرة وجع" - دار جولدن بوك ٢٠١٨ .

نشر الكتروني:

- . نصوص "إليك أنت " .
- . نثریات "ليل والحياة" .
- . خواطر "اسمع بيانولا بهية" .
- . خواطر "احتلال جنية الأحلام" .
- . قصائد نثرية "ثنائيات ليل" .